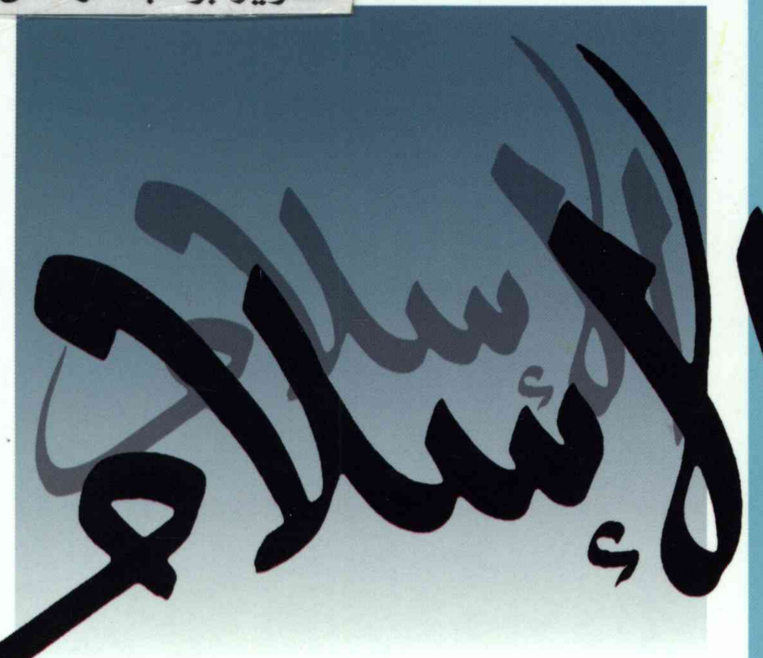
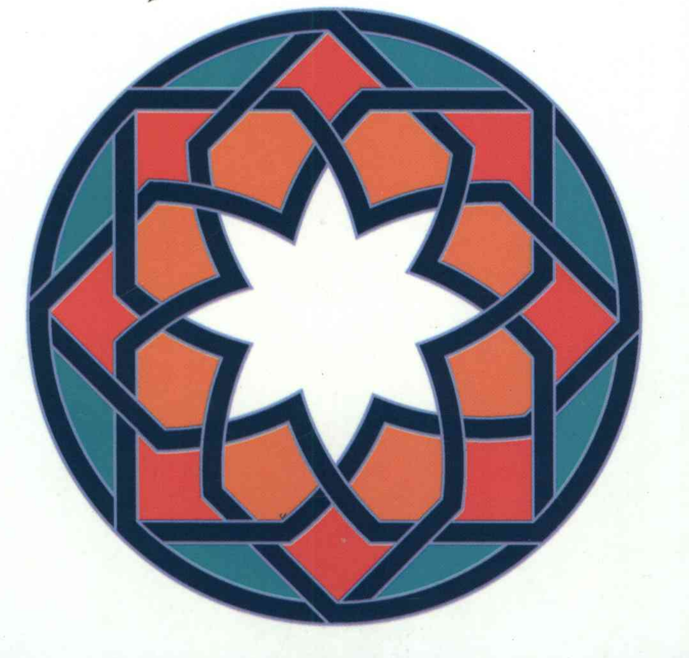
القاضي محمّد سويد



الإسلام هو الحل لقضايا الإنسان





شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الاسلام هو الحل لقضايا الانسان

القاضي المستشار : محمد سويد



القاضي المستشار
محمد سويد

الاسلام هو الحل لقضايا الانسان

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد

ص. ب.: ٨٣٧٥ ـ بيروت لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢٢ ـ ٧٥٠٨٧٢ ـ ٣٤٤٢٣٦ ١ ٩٦١+

تلفون + فاكس: ٣٤١٩٠٧ ـ ٣٤٢٠٠٥ ـ ٣٥٣٠٠٠ ١ ٩٦١+

email: tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الثانية ٢٠١٠

ISBN: 978-9953-88-230-7

الخط وتصميم الغلاف: عباس مكّي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين.

وبعد، فان الله سبحانه وتعالى ارسل محمدا بشيرا ونذيرا وهاديا ومعلما الى بني البشر كافة ليهديهم بالقرآن الكريم الى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا انحراف، بالقرآن الذي تحدى به العرب وغير العرب من حيث الفصاحة والبلاغة، ومن حيث المعنى والمضمون الذي يكفل للانسان سعادته في الدنيا والآخرة، كما يحفظ للارض التي نعيش عليها تجددها وعمرانها.

أجل، ارسل الله محمدا بالاسلام الى البشرية كلها قال تعالى: «وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا[1]» الى ابيضها واسودها واصفرها، الى عربها وعجمها لا فضل لانسان على انسان الا بالتقوى والعمل الصالح وبقدر ما يقدم لهذه البشرية من خدمات نافعه.

هذه البشرية التي تعمر الارض كان من نتائج تفاعلها وحركتها الدائمه المستمره منذ ان خلق الله الانسان تعاقب الانظمة والشرائع الوضعيه الى جانب الشرائع الالهيه التي تعنى بالفرد والاسرة والجماعة خلقيا وماليا وصحيا ونفسيا واجتماعيا وبكل ما يتصل بالانسان من قريب او بعيد.

لقد تخبطت البشرية ولا تزال تتخبط في ممارسة الانظمة الوضعية التي هي

نتيجة تجاربها على مر السنين وكلما ذهب جيل وجاء جيل يضطر المفكرون والمصلحون الى اعادة النظر في ما وضع من شرائع وانظمة، بل ربما احتيج الى ذلك في الجيل الواحد اكثر من مرة.

لقد سقط من هذه الانظمة الكثير على الطريق الطويل منذ نشأة البشر حتى يومنا هذا، وبعضها الاخر يترنح تحت مطارق الزمن منذرا بالسقوط ولن تستقر البشرية ولن يهدأ لها بال مهما وضع لها من قوانين وسن من شرائع الا اذا تعرفت على الاسلام وفهمته فهما صحيحا كما وضعه الله وكما فهمه رسول الله وخلفاؤه واصحابه من بعده.

لقد عالج الاسلام مشاكل البشر باعتباره الشريعه النهائية التي لا شريعة سماوية بعدها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فاحسنها واكملها واجملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: لو وضعت هنا لبنة فيتم بنيانك فقال محمد: فكنت انا اللبنة[٢].

وضع الاسلام الحلول لما كان ولما هو كائن ولما سيكون ولم تحمل هذه الشريعه التامه الحل لمشاكل الانسان ليكون سعيداً آمناً في هذه الدنيا فحسب بل حملت له السعادة والامان في الدار الاخرة.

اما اولئك الذين ينتقدون الاسلام من المستشرقين الاجانب وسواهم ممن في قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فيزعمون تارة بأن فيه ثغرات وشبهات وانه سبب تقصير المسلمين وتاخرهم عن مواكبة العصر الحديث، وتارة بان القرآن ليس من وحي الله بل هو من صنع محمد ولا دخل للوحي فيه، الى اخر ما زعموا ويزعمون من اكاذيب واراجيف الصقوها بالاسلام والاسلام منها براء وزينوا لبعض صغار العقول من العرب والمسلمين الذين غسلوا ادمغتهم بثقافتهم المضللة وبهرج مدنيتهم الزائفة وحضارتهم القائمه على المادة الفارغه من كل محتوى ان ما يزعمونه هو الحق والصدق، والحقيقة انهم فعلوا ذلك ويفعلون لا لشيء الا لانهم

يكرهون الاسلام واهله وقد طفحت نفوسهم حقدا وغيظا من صلابة مقاومته وانتشار مبادئه بالرغم من محاولاتهم ومحاولات اسلافهم من قبلهم على مر الدهور، العمل على هدمه والتخفيف من انتشاره تارة بالحروب الصليبية وتارة بتحالف الصليبية والصهيونية، وتارة بالمبادئ الملحدة والدخول الى عقول بعض المسلمين من باب الثقافة والعلم لاقتلاع جذوره من نفوسهم حتى يسهل عليهم حينذاك الوصول الى اهدافهم الدنيئة ولكن الاسلام بقي صامدا واهله صامدون وسيبقى ويبقون كذلك وسيزداد الاسلام مضاء وقوة والمسلمون ايمانا به والتفافا حوله وتفانيا في سبيله الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ان افضل رد يقال لهؤلاء المفترين هو اعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته وتحديه لكل المناوئين والمفترين يقول الله تعالى في ذلك «ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين»[٣].

واقول لهؤلاء لو ان القرآن من عند محمد لما سجل على نفسه عتاب الله ولومه اياه في بعض تصرفاته، فقد عاتبه الله في قضية عبد الله بن مكتوم وكان ضريرا وذلك ان رهطا من اشراف قريش توافدو الى النبي [ص] وجلسوا اليه فطمع في اسلامهم واقبل ابن مكتوم فكره رسول الله ان يقطع عليه كلامه معهم فاعرض عنه ـ وكان يتردد عليه فيعلمه امور دينه ـ فعاتبه الله بقوله: عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ألاّ يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة» الى اخر السورة...

فانظروا هذا العتاب والى قوله تعالى كلا انها تذكرة وكلا هي كلمة ردع وزجر (اي ما الامر كما تفعل مع الفريقين فلا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني واعراضك عن المؤمن الفقير»[٤].

كما عاتبه الله سبحانه بقوله: يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك[٥] وذلك عندما شرب النبي العسل عند زوجته زينب وتظاهرت عليه عائشه

وحفصة فحلف ان لا يشربه، وهو كقوله تعالى: يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم.

ثم نسأل هؤلاء المرجفين من اطلع محمدا على اسرار السموات والارض المغلقة التي اشار اليها القرآن وكشفها العلم الحديث؟

فقد قال القرآن بتوسيع السماء: والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون[٦].

وقال بنقصان الارض: او لم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها[٧].

ومن اخبر محمدا عن مراحل الجنين الدقيقة وهو ينمو في بطن امه؟ قال تعالى: ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه انسانا آخر فتبارك الله احسن الخالقين[٨].

من علم محمدا ان الارض كرويه فقال تعالى: والارض بعد ذلك دحاها، ومن علمه ما في القرآن من علوم وتشريع وادب وتاريخ وحضارة انسانية وهو الامي ابن الصحراء القاحلة البعيدة عن الحضارة من علمه كل هذا اليس هو الله؟

انهم يعلمون ذلك جيدا ولكنه الحقد والمكابرة: قل يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون[٩].

واخيرا لعلي ايها القارئ الكريم حيثما كنت واية شريعة اعتنقت استطيع الدخول الى عقلك فأنير ظلمته او بعض جوانبه المظلمة بمؤلفي هذا (الاسلام هو الحل لقضايا الانسان) والله المستعان وهو يهدي الى سواء السبيل.

محمد سويد

هوامش

١ ـ سبا: ٢٨.

٢ ـ عن ابي هريره اخرجه البخاري في الانبياء ومسلم في الفضائل.

٣ ـ يونس ٣٨

٤ ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ ١٩ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

٥ ـ التحريم، ١.

٦ ـ الذاريات ٤٧.

٧ ـ الرعد ٤١.

٨ ـ المؤمنون ١٢ ـ ١٤.

٩ ـ آل عمران ٧٧.



الفصل الاول

النظام الفردي او الدكتاتوري

نظام الفردية او الديكتاتورية

خلق الله الانسان ذكرا وانثى من نفس واحدة فقال سبحانه: «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا(١)».

في هذه الآية الكريمه تتجلى وحدة الجنس البشري، والمساواة بين الذكر والانثى ولكن هذا الانسان الذي ميزه الله بالعقل عن الحيوان اخذ بالانفصال عن هذه الوحدة بعد تكاثره وتفرقه في شعاب الارض وبعد تضارب مصالحه ومطامعه، الى ان وصلت البشريه الى ما هي عليه الآن مصداقا لقوله تعالى: «كان الناس امة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه(٢)».

احس هذا الانسان منذ وجوده على الارض بل بعبارة اصح منذ بلوغه سن التمييز بحاجة الى شيئين مهمين:

الاول: حاجة جسده الى البقاء والاستمرار بالبحث عن الطعام والشراب والمأوى والملبس.

الثاني: حاجة نفسه الى الامان والاطمئنان بالبحث عمن خلقه وخلق ما حوله

من سماوات واراضين ونبات وجماد وبحار فطفق تدفعه حاجته الاولى الى الارض يستنبتها ويأكل من نباتها وحيوانها ويلبس جلود ما يصطاده منها ويكتسي باوراق اشجارها، ويأوي الى مغاورها وكهوفها، وحين اخذ حجرا وضربه بحجر آخر او لاحظ حجرا يندلع منه الشرر تحت حوافر الخيل كانت النار اولى اكتشافاته التي قادته الى كثير من الاكتشافات فيما بعد.

وعندما بدأت جماعات الانسان تشكل افخاذا وقبائل بدأ يفكر في صيانة مصالحه الارضية المتعارضة مع مصالح الاخرين، فتعارف على مصطلحات تعيّن حدود الفرد والجماعة التي ينبغي ان لا يتجاوزها كل منهما، وسمى ذلك عرفا الى ان تكاثر نسله، واستقلت كل من مجموعاته برقعة من الارض اقامت عليها القرى والمدن، اصبحت تلك المصطلحات قاصرة لا تكفي لصيانة وحفظ حقوقه في هذه المجتمعات، فبدأ بتوسيعها والزيادة عليها بما يتلاءم وحاجته والغاء ما لا يتلاءم معها، وعرف ذلك بالقوانين والشرائع الوضعية.

بقيت حاجة النفس البشرية لمعرفة الحقيقة المطلقة، لمعرفة الله فبدأ الانسان البحث عنها كذلك منذ بلوغه سن التمييز بدافع الفطرة التي اودعها الله فيه، والتي تشعره بوجود الله، تماما كما تشعر النحلة بالغريزة بوجود زهرة مهما كانت بعيدة لا تراها لتحصل على رحيقها، فتصور الانسان ربه في الشمس والقمر والنار والحيوان بل تصوره في الشيطان فعبده خوفا من اذاه، ثم جسد تصوراته هذه وحققها بالصور والتماثيل والاصنام واخذ يعبدها تقربا وزلفى الى الله، وقد ضرب الله سبحانه مثلا للانسان الباحث عن حقيقة الله بسيدنا ابراهيم عليه السلام، قال تعالى: «وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين، فلما جَنَّ عليه الليل رأى كوكبا، قال: هذا ربي، فلما أفل قال: لا احب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي، فلما أفل، قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الظالمين، فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي،هذا اكبر، فلما أفلت، قال: يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين [٣]».

لقد بقي الانسان كذلك الى ان اختار الله أنبياءه ورسله من بني الانسان، فحملوا رسالاته الى البشر لهدايتهم من حيرتهم وضلالهم الى الله خالق السماء والارض وكل ما في الوجود، وكان الاسلام آخر هذه الرسالات.

قلنا بأن الجنس البشري واحد كما قال الله سبحانه وتعالى، وكما قال انبياؤه ورسله وكما قال محمد صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم وآدم من تراب»، وأن مشاعر الانسان واحدة في حلمه وغضبه، وحزنه وسروره وفي جميع عواطفه واحاسيسه، ولكن مصالحه الارضيه اختلفت تبعا لاهوائه واطماعه، كما ان الكثيرين من ابناء البشر لم يؤمنوا برسالات السماء، وما زالوا يبحثون حتى يومنا هذا عن الله.

عرفت البشرية بعد تجارب طويلة الكثير من الانظمة التي ارتضتها لتدبير امورها الحياتية، ثم انقلبت عليها سواء اقام بها فرد او فرضتها جماعة، فعرفت من جملة ما عرفت النظام الفردي او الليبرالي كما يسمونه اليوم - وهو حكم الفرد الذي يحكم جماعة اوشعبا فيتفرد برأيه ويفرضه على محكوميه دون الرجوع اليهم في الامور التي يراها ويفرضها، وقد عانت البشرية من ظلم هذا الحكم كثيرا وهو ما حاربه الإسلام ونهى عنه ورمز اليه (بفرعون مصر) فقال تعالى: إن فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين[٤]».

ثم نقرأ قوله تعالى في وصف فرعون وقد استفحل شره «فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى[٥]».

من هاتين الآيتين الكريمتين يتضح لنا معنى النظام الفردي الاستبدادي المتسلط على الناس، المتصرف باموالهم ومصالحهم على هواه ومزاجه، كما تبيّن لنا طبيعة ذلك الحاكم المهووس الذي يستبد به الغرور وجنون العظمة فيدعي الالوهية وقد عرفت البشرية عبر الازمنة القديمة والمعاصره انظمة فردية كان من بينها النظام النازي الهتلري، والنظام الفاشي الايطالي في عهد موسوليني وكانت كل هذه الانظمة الى زوال لأنها تصادر الحرية الفردية والجماعية وتسلبها.

نظام الشورى

وضع الاسلام لمكافحة هذا النوع من الانظمة قاعدة سماها «الشورى» ويسميها غيرنا «الديموقراطية» هذه القاعدة نجدها في كتاب الله، خاطب الله بها نبيه ليعلمها للامة والناس قال تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظاً غليظ القلب لانفضُّوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله(٦)»، وقال سبحانه: يصف المؤمنين ونظام حكمهم: «وامرهم شورى بينهم(٧)».

لقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ المشاركة والشورى عمليا على نفسه وبين اصحابه فقد كان يعين أهل بيته في عملهم، سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله يصنع اذا دخل بيته؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة خرج يصلي(٨).

وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً في علو منصبه، وكان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف، وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النَّعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم، وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كرهه لذلك، وكان يمُرّ على الصبيان فيسلم عليهم، وأتاه يوما رجل فأرعد من هيبته فقال له: هوّن عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد(٩) وكان يجلس بين اصحابه مختلطاً بهم كأنه احدهم فيأتي الغريب فلا يدري ايهم هو؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه(١٠)، وكان اذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ

معهم، وان تحدثوا في طعام او شراب تحدث معهم، وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعا لهم[١١] ولا يزجرهم الا عن حرام[١٢]».

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قُبِض النبي وان درعه لمرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعا من شعير اخذها رزقا لعياله[١٣]». وصدق البوصيري حيث يقول:

لو راودته الجبال الشم من ذهب

عن نفسه لأراها أيما شَمَمِ

اجل: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الاعلى للحكام، وشريعة الاسلام هي الحل لجميع مشاكل العالم.

يقول العلماء في الآية الكريمة التي كرست مبدأ الشورى «فبما رحمة من الله لنت لهم» ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوامر التي هي بتدرج بليغ وذلك بانه امره بالعفو عنهم ماله في خاصته عليهم من تبعة، فلما صاروا في هذه الدرجة أمره ان يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فاذا صاروا في هذه الدرجة صاروا اهلا للاستشارة في الامور[١٤]» وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم نظام الشورى بنفسه نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر موقفه في معركة بدر الكبرى حيث نزل المسلمون، وكان «الحبَّاب بن المنذر الجموح»، عليماً بالمكان فلما رأى النبي حيث نزل قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال النبي: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القُلُب (اي نسد ونردم ما وراءه من الآبار) ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا «فلما رأى النبي صواب رأيه أخذ به وقال: انتم اعلم بأمور دنياكم[١٥]».

لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص بالخلافة لاحد تطبيقا لمبدأ الشورى فانتخب المسلمون ابا بكر رضي الله عنه والنبي مسجًى على فراش الموت.

ورأى ابو بكر رضي الله عنه حين شعر بدنو اجله ان يكتب كتاب عهده الى عمر بن الخطاب من بعده، حرصا على الامة وخوفا من انقسامها حول الخليفة فقال في كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اخر عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة وفي الحال التي يؤمن بها الكافر ويتقي الفاجر، اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فان برٌ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وان جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير اردت، ولكل امرىء ما اكتسب «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

على ان هذا لا ينافي مبدأ الشورى ايضا فهو رأي مشروط بالعدل والخير وفيه تخيير للمسلمين اي انه غير ملزم لهم ان شاءوا نفذوه وان شاءوا خالفوه ومع ذلك فقد بويع عمر رضي الله عنه والمبايعة هي انتخاب على قاعدة الشورى.

وكذلك كان الحال في خلافة عمر رضي الله عنه فقد اختار حين حضرته الوفاة ستة من اهل الشورى على ان يختاروا احدهم خليفة، ورفض طلبا تقدم به بعض المسلمين بان يولي ولده عبد الله واوصى الناس فقال: اذا متُّ فتشاورا ثلاثة ايام، وليصلّ صهيب بالناس، ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شيء له في الامر.

وانتخب علي رضي الله عنه شوريا، فقد حدث بعد مقتل عثمان ان تراكم الناس على علي رضي الله عنه لمبايعته فقال: ليس ذلك الحكم، انما ذلك لأهل «بدر» اين طلحة والزبير وسعد؟ فاقبل الثلاثة وبايعوه ثم بايعه المهاجرون والانصار، وقد ابى

علي رضي الله عنه ان يعهد بالخلافة لولده الحسن فقال للناس الذين اشاروا عليه بذلك «لا آمركم ولا انهاكم انتم ابصر».

وفي كل ما ذكرناه يتضح ان الخلفاء الراشدين رفضوا ان يكون الحكم بالوراثه او بالقوة، وطبقوا مبدأ الشورى.

وهكذا وقف الاسلام في وجه النظام الفردي حين دعا الى الشورى والعدل والمساواة وكان مصير ذلك الحكم وسيكون مصير كل حكم مثله الى زوال.

الرأسمالية

قلنا ان الانسان القديم بدأ بالبحث منذ طفولته عن حاجته الى ما يتملكه بالاضافة الى حاجته من الطعام والشراب والكسوة وبعد تكاثره الى جماعات استقل برقعة من الارض بنى عليها مساكنه وعندما ضربت النقود بدأ يدخرها خوفا من الفقر والحاجة، او طمعا بالإدخار والمزيد منها وهكذا نرى انه بفطرته ميال الى التملك والى ما يشبع رغباته في هذه الدنيا، وقد يصور الطمع له احيانا انه خالد لن يموت، وانطلاقا من تصوره هذا فقد توغل بعيدا في مطامعه واستئثاره بكل ما هو ثمين حيث لايجد وازعا في تكديس الثروات، ومن هنا نشأت الرأسمالية وان كان بعض الباحثين يرجع نشوءها الى القرون الوسطى اثر استبداد حكام فرنسا بالشعب وحكمه حكما ظالما زاعمين انهم يستمدون سلطتهم مباشرة من الله، فطمسوا شخصية الانسان وتلاشت حقوقه، وانصهرت في نار طغيانهم مقاومة الشعب فاصبحت حياته واجبات بلا حقوق.

هذه الرأسمالية طبعت الانسان بطابع المادة حين اطلقت له العنان ليلهث وراء الربح مشروعا كان او غير مشروع، حلالا كان او حراما فجعلت منه حيوانا نهما لا يشبع وانانيا لا يرى غير نفسه، فانكب على المال يدخره ويكنزه ويكدسه في خزائنه، ينام ويصحو وحلمه الكسب والاثراء بأية وسيله وهذا ناتج عن فراغ نفسه من وازع العقيدة السماوية وقد قلت في ذلك:

فجائع البطن قد تكفيه لقمته

وجائع النفس لا تكفيه دنيانا

انه جائع النفس حقا تصور له نفسه الطماعة بانه قادر على امتلاك جميع ما تقع عليه عيناه ويداه في هذه الدنيا، ولذلك انشأ الآلة واخترعها ليكون ربحه اوفر وأسرع ثم اصبح عبدا لهذه الآلة.

يقول جورج سو: «ان الفلسفة الرأسمالية تعود الى حرص الكتاب والمفكرين بعد طغيان ملوك الكنيسه على التأكيد بأن الفرد قوة اجتماعية ضرورية ونافعة[١٦]».

ويقول نهرو: «ان فساد العالم يرجع في معظمه الى فساد نظامه الاقتصادي والسياسي، وانه لا سبيل الى الاصلاح ما دامت الرأسمالية تسخر طبقة لطبقة.

واذا كان بعض الباحثين يعيد نشأة الرأسمالية الى القرن السادس عشر بعد ثورة الاصلاح الديني على ملوك الكنيسة، واذا كان نهرو يعزو سبب فساد العالم الى فساد الانظمة الاقتصادية والسياسية، فانني ارى ان سبب الرأسمالية هم اليهود لانهم الاقدم ولأن حكماءهم ابتدعوها بالربا والمضاربة والاحتكار وجعلوا لها بنودا في (بروتوكولاتهم).

فقد جاء في البروتوكول السادس: سنبدأ فوراً في تنظيم احتكارات عظيمة، هي صهاريج للثروة الضخمة لنستنزف خلالها دائما الثروات الضخمة للاميين (غير اليهود) وبهذه الوسيلة سوف نقذف بهم الى مستوى العمال والصعاليك».

وجاء في البروتوكول الرابع: ان خيرات الارض والاستثمارات لن تستقر في ايدي الاميين، بل ستسير عبر المضاربات الى خزائننا، ان الصراع من اجل التفوق والمضاربة في عالم الاعمال سيخلقان مجتمعا غليظ القلب، منحل الاخلاق، وهذا المجتمع سيصبح منحلا كل الانحلال، وكارها للدين والسياسة وستكون شهوة الذهب هدفهم الوحيد، وسيكافح هذا المجتمع من اجل الذهب متخذا من اللذات المادية التي يستطيع الذهب ان يمده بها مذهبا اصيلا».

النظام الشيوعي

نشأت الشيوعية او الماركسية التي أسسها «كارل ماركس» اليهودي عام ١٨٤٧ كردة فعل معاكسة للرأسمالية التي اطلقت للفرد العنان واباحت له الحرية المطلقة في الملكية الخاصة والارباح والاستثمارات والتجارة دون قيد يحد من طغيانه وجشعه، في حين قيدت الشيوعية حريته وسلبت ملكيته الخاصة فجعلتها ملكا للجماعة تطبيقا للمبدأ القائل «من كلٍ حسب قدرته، ولكلٍّ حسب حاجته» وكانت نظرية انكار وجود الله التي اطلقتها الشيوعيه نتيجة لمؤآمرة صهيونية نوضحها فيما بعد، ورداً على وقوف الكنيسة حينذاك مع ملوك الحكم الديني في اوروبا، اولئك الذين زعموا ان الله اختارهم مباشرة لحكم الشعب فقد قال ماركس: لا آله والحياة مادة». وقال لينين: ليس صحيحا ان الله هوالذي نظم الاكوان، انما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية اختلقها الانسان ليبرر عجزه.

وقالت الشيوعية ايضا «ان حركة الفكر ليست الا انعكاسا للواقعية المادية منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه» وهي تعتبر بالتالي: «ان الدين افيون الشعوب وعدو العلم والتقدم»

اما القول بانكار وجود الله فانه مردود بما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون الذين تآمروا على الشعوب المتدينة، لتجريدها من الدين بغية الاستيلاء عليها على ان يبقى لليهود دينهم، وهذا ما فضحه البروتوكول الرابع عشر حيث جاء فيه: «سيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الاديان الأممية (غير اليهود) ولكن لن يحكم احد ابدا على ديانتنا من وجهة نظر الحقيقة، اذ لن يستطيع احد ان يعرفها معرفة شاملة واعية الا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر ابدا بكشف اسرارها، وعندما نتمكن من السلطة ونصبح سادة الارض لن نسمح بقيام دين غير ديننا اي الدين المعترف بوحدانية الله والذي كان من حسن طالعنا اننا اخترنا له، كما ارتبط به مصير العالم، لهذا السبب يجب علينا ان نحطم كل عقائد الايمان، واذا كانت نتيجة ذلك هي انتشار الملحدين، فان ذلك لن يدخل في موضوعنا، ولكنه سيفيدنا في الاجيال القادمة التي

وجاء في البند الثاني والعشرين: في ايدينا تتركز اعظم قوة في هذه الايام ونعني بها الذهب الذهب، ففي خلال يومين نستطيع ان نسحب اي مقدار منه الى حجرات كنزنا السرية، الا يزال ضروريا علينا بعد ذلك ان نبرهن ان حكمنا هو ارادة الله؟ هل يمكننا ولنا كل هذه الخيرات الضخمة ان نعجز بعد ذلك عن اثبات ان كل الذهب الذي ظللنا نكدسه خلال قرون طويلة جدا لن يساعدنا في غرضنا الصحيح؟ أي اعادة النظام تحت حكمنا[١٧]».

هذا وقد جاء في تعاليم «التلمود» بامر الله تأخذ الربا من غير اليهود، وان لا تقرضه الا بشروط ضخمة وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع انه من الواجب علينا ضرره»، «اذا احتاج غير اليهودي بعض النقود، فعلى اليهودي ان يستعمل معه الربا المرة بعد الاخرى حتى يعجز عن سداد ما عليه الا بتنازله عن جميع امواله واملاكه[١٨]».

لقد احدثت الرأسمالية وطغيان الآلة حديثاً فوارق اجتماعية وطبقية لا يستهان بها، فهناك شعوب متقدمة غرق انسانها من رأسه الى اخمص قدميه في الثروة والرفاهية والراحة، وفيضان المال عن حاجته، وهناك شعوب متخلفة يطلقون عليها اسم «العالم الثالث» غرق انسانها في الفقر والعوز والحاجة ولم يتمكن من تصحيح وضعه المادي رغم لهاثه وراء المال، وفي كل شعب من الشعوب توجد طبقات ثرية وطبقات فقيرة، كل ذلك ناتج عن عدم توزيع المال توزيعا عادلا الامر الذي يسبب الاضطرابات والثورات والحروب، ويغري الاقوياء بالاستيلاء على اوطان الضعفاء وممتلكاتهم الخاصة بما تنتجه هذه الرأسمالية من آلة الحرب الجهنمية واقمار التجسس التي تخدم هذه الآلة وسواها من المبتكرات الحربية التي تهدّد العالم بالدمار والخراب.

لذلك كانت الرأسمالية ولا تزال سببا للاستعمار والحروب التي تشتعل من وقت لآخر في كل مكان من الدنيا، ولو رجع الناس الى تعاليم الاسلام لوجدوا فيها علاجا لنظامهم الاقتصادي يمنع الاستغلال وحدوث الطبقية الرهيبة والاضطرابات الخطيرة التي تعم العالم.

ستصغي الى تعاليمنا عن دين موسى الذي وكل الينا بعقيدته الصارمة واجب اخضاع كل الامم تحت اقدامنا»[١٩].

وجاء في البروتوكول السابع عشر: لقد وجهنا اهتماما كبيرا الى الحط من كرامة رجال الدين من الاممين في اعين الناس، وبذلك نجحنا في الاساءة الى رسالتهم والاضرار بها وهي التي كانت تشكل عقبة كبيرة في طريقنا.

ان نفوذ رجال الدين يتضاءل يوما بعد يوم، اليوم تسود الحرية الدينية في كل مكان، ولن يطول الوقت الا لسنين قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما، سيبقى علينا بعد ذلك السهل اليسير للقضاء على الديانات الاخرى، ان بابا اسرائيل سيصير البابا الحقيقي لهذا العالم وبطريرك الكنيسة العالمية.

اما رأي حكماء صهيون في الشيوعية التي وضعها واحد منهم فانه يفضح هذا التآمر الرهيب، ويكشف عن هذه الخطة اللئيمة، القذرة الاهداف والمرامي فقد جاء في البروتوكول الثالث: ما يلي:

«اننا نقصد ان نبدو كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لتحريرهم من الظلم عندما ننصحهم بان ينضموا الى جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين، والشيوعيين، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعيه (انظر كلمة نتبنى) ونحتضنها متظاهرين باننا سنساعد العمال طبقا لمبدأ الاخوة والمصلحة العامة للانسانية وهذا ما تبشر به «الماسونيه» الاجتماعية[٢٠].

فيا قارئي العزيز عندما يقول الصهاينة هذا الكلام، افلا تكون الشيوعية خطتهم المدبرة لغسل ادمغة الأمميين كما يقولون ـ من الاديان السماوية التي تقف حائلا دون تحقيق احلامهم التوسعية؟ ثم الا يجعلنا ما جاء في البند الاول من بروتوكولاتهم «ان السياسة لا تتفق مع الاخلاق في شيء والحاكم المقيد بالاخلاق سياسي غير بارع ولا بد لطالب الحكم من الالتجاء الى المكر والدهاء والرياء، لان الصفات الانسانية العظيمة من الاخلاص والامانة تصبح رذائل في السياسة» الا يجعلنا هذا القول نجزم بان الصهيونية والشيوعية حليفان دائمان يعملان لتحقيق

الدولة الصهيونية العالمية بضرب كل ما هو خلق ودين وكرامة انسانية؟ الا يؤيد ما ذهبنا اليه انه بعد قيام الشيوعية كان مجلس الحكم في روسيا مؤلفاً من عشرة اعضاء كان بينهم ستة من اليهود؟

لقد عارض «هيغل» في فجر القرن التاسع عشر قول الشيوعية بانعكاس الفكر عن المادة فقال: ان الفكر ليس نتاجا للمادة كما تدعي الشيوعية وانا اعتبر الفكرة المطلقة «الله» صانعة المادة وخالقها، «وأقول بان المادة غير عاقلة ولا مفكرة فهي اذاً لا تهب العقل ولا الفكر لان فاقد الشيء لايعطيه اما انكار الامور الغيبية التي تشير اليها الاديان، فان فلاسفة الشيوعيين كغيرهم من الناس في جهالة ما وراء الغيب، وقد كان مثلهم اناس ينكرون اشياء غيبية كثيرة اثبت العلم اليوم صحتها، كالمسافات الضوئية الشاسعة التي تفصل بين كوكب واخر كما اخبر بذلك القرآن الكريم مثلا «قال تعالى: ان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون»[٢١] وقال تعالى: تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنه[٢٢]»، وكمسألة اتساع السماء، وتقلص الارض في قوله تعالى: «والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون[٢٣]»، «أوَ لم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها [٢٤]»، وهي الغيبيات التي اثبتها العلم الحديث لقد اثبتت الشيوعية منذ اللحظة الاولى انها جاءت للتخريب لا لتقويم الانحراف كما تزعم بل جاءت بانحراف اشد منه حين سحقت الفرد وانكرت وجود الله وحين اثبتت عام ١٩٦٤ عدم صلاحيتها بلجوئها الى الخروج عن مبادئها الاساسية بمشروع جديد الغت فيه النهج الثوري الذي كانت تعتمده لهدم النظام الرأسمالي، كما عدلت عن الغاء الملكية الفردية وجاءت بحل وسط هو الاحتفاظ للدولة بالصناعات الثقيلة والتجارة الخارجية والمصارف وتركت للفرد الصناعات الصغيرة والتجارة المتوسطة، كذلك عدلت مبدأ توزيع السلع الاستهلاكية فبعد ان كان المبدأ من كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته» اصبح بعد التعديل من كل حسب قدرته ولكل حسب ما يؤديه من عمل، ومن لا عمل له ليس له الحق ان يأكل «والغتِ المزارع الحكومية المعروفة باسم «السوفوكوز» لفشلها.

اما القول الظالم البعيد عن الصحة بأن الدين افيون الشعوب، فان الرد على ذلك

بان الدين يوقظ الشعوب الغافلة عن انسانيتها ويعيدها الى ما اراد الله ان يكون الانسان عليه من خلق كريم ورحمة وعزة وكرامة وعدالة بعيدا عن الغرائز الحيوانية الموجوده فيه، فالاسلام وهو خاتم الاديان حرر الشعوب وايقظها من الخدر والضياع واعاد اليها اهليتها الانسانية ويكفي لدخول الاسلام ان يقول الانسان معتقدا «اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله» ليتحرر من كل عبودية الا لله كما ان اعتقاده بالجانب الانساني من هذه الشهادة يذكره بالعودة الى انسانيته التي ارادها الله له باختيار رسله وانبياءه، من بني الانسان.

كما ان الرد على المقولة بان الدين عدو العلم والتقدم فإن الاسلام افتتح رسالته بالعلم قال تعالى: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم» وقد اقسم الله سبحانه بالقلم تكريما له ودعوة لاستعماله فقال: «نون والقلم وما يسطرون» وقد كرمت الرسالة الاسلامية العلم والعلماء وهناك ايات كثيرة في القرآن الكريم واحاديث كثيره في السنّة النبوية اكثر من ان تحصى في فضل العلم والمتعلمين وتفضيلهم على سواهم، بل هناك آيات كثيرة ايضا تدعو الانسان الى اكتشاف ما يحيط به من اسرار هذا الكون وتأخذ بيده مشيرة اليها، وليس بمقدور الشيوعيين وغيرهم ان ينكروا ما للاسلام من فضل على البشرية، فالعالم شرقه وغربه مدين للمسلمين بحضارته الحالية بعد ان كان غارقا في ظلام الجهل والفوضى والعبثيه وما زال الى الان يستمد من علماء المسلمين نظريات الفلك والطب والهندسة والرياضيات وغيرها، ونحن لا ننكر ان المسلمين اكتسبوا من الاغريقية واللاتينية القديمة والسريانية الكثير من العلوم وتفاعلوا مع حضارات البلاد التي فتحوها كبلاد فارس ومصر وسوريا والهند وآسيا ولكن الملفت في هذا ان دينهم كان الدافع، كما ان المدهش هو ان المقتبسين اصبحوا فيما بعد الاساتذة الاصليين في هذه العلوم.

«الشيوعية والماسونية»

ان الشيوعية والماسونية هما ابنتا سفاح للصهيونية العالمية، وقد قدمنا الدليل

على الاولى من اقوال اليهود انفسهم اما الثانية فهي جمعية سرية اسسها الصهاينة تنادي بالمساواة والاخوة وتذويب الفوارق بين الناس هذا هو ظاهرها الذي فيه الرحمة اما باطنها، الذي فيه المكر والخداع، فهو خدمة المآرب الصهيونية بازالة الشعور الديني من النفوس ودليلنا على ذلك ايضا من اقوال اليهود انفسهم.

جاء في البروتوكول الرابع من حكماء صهيون: «ان المحافل الماسونية المنتشرة في كل انحاء العالم تعمل في السر كقناع لاغراضنا، لان الفائدة التي نحن جادون في تحقيقها من هذه القوة في خطّة عملنا ومركز قيادتنا ستظل دائما غير معروفة كثيراً للعالم».

وجاء في البروتوكول الخامس عشر: «اما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر ونحن نعرفها والتي تخدم اغراضنا فعلاً فاننا سنحلها وننفي اعضاءها الى جهات نائية من العالم، وبالأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الاحرار من الامميين لانهم ربما يعرفون اكثر من الحد اللازم المناسب لسلامتنا، وكذلك الماسونيين الذين سنبقي عليهم لسبب او لآخر وسنبقيهم في خوف دائم من النفي وسنصدر قانوناً يقضي على كل الاعضاء السابقين في الجمعيات السرية بالنفي من اوروبا حيث سنقيم مركز حكومتنا العالمية [٢٥]».

اذاً الماسونية هي توأم الشيوعية تشابهها في كثيرٍ من الجوانب وهي جمعية تعمل في الخفاء بواسطة الدعاية وبث الافكار الخاصة بها المناهضة للاديان والقوميات والتقاليد وهي من صنع الصهيونية بدليل ما قدمناه.

اما موقفها من الدين فاننا نقدم للقاريء ما قاله احد اقطابها (لا فارج) في الطلاب الوافدين من فرنسا وانكلترا وروسيا والمانيا واسبانيا: «يجب ان يتغلب الانسان على الاله وان يعلن الحرب عليه وان يخرق السموات ويمزقها كالاوراق» وقال الماسوني «بوكه»: تأكدوا تماما اننا لسنا منتصرين على الدين الا يوم تشاركنا المرأة فتمشي في صفوفنا وقال: «دورفويل»: «ليس الزنا بالاثم في الشريعة الطبيعية، ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات».

ويكفي دليلا على نسبة الماسونية للصهيونية اقوال حكمائهم التي اشرنا اليها وان درجاتها الثلاث والثلاثين عرفت بالعبرية.

لقد تناولنا الجانب المادي من الشيوعية، وبقي علينا ان نتناول الجانب السياسي كونها أصبحت مذهبا للدول التي تعتنقها، وهذا الجانب يكشف زيف الشيوعيين وتآمرهم على العالم باجمعه، ذلك بان الشيوعية مرتبطة بالصهيونية ارتباطا وثيقا، بل باستطاعتنا القول ان الصهيونية هي صانعة الماركسية ومبتدعتها، فبعد ان نفذت الصهيونية مخططها الاجرامي باحتلال فلسطين بدأت تتطلع الى ما حولها وتقضم من املاك الدول العربية المجاورة ما تستطيع قضمه، ثم تخلد الى الراحة والسكون لهضم ما ابتلعته، وترفع عقيرتها باكية شاكية للعالم ـ بخداع وكذب ظاهرين ـ انها كالحمل المعتدى عليه وان جيرانها العرب هم البادئون بالعدوان.

انها خطة خبيثة لا يتقنها الا الصهاينة الذين كان الكذب ولا يزال اهم مبدأ اساسي جعلوه كبند في بروتوكولاتهم الشهيرة وقد خدعوا العالم فترة من الزمن بهذا الاسلوب المبتذل الى ان تبين كذب ما يدعون، وبالرغم من القرارات الصريحة التي اصدرتها هيأة الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي بادانة اسرائيل ومطالبتها بالانسحاب الفوري من الاراضي العربية التي احتلتها فان اسرائيل تلف وتدور وتحاور وتناور، واصحاب المصالح من الدول الكبرى الذين بيدهم الحل والربط صامتون، ذلك لأن اخطبوط الصهاينة يطوق اعناقهم في داخل بلادهم وحكوماتهم، فما ان يصدر عن هذه الدول اي قرار لمصلحة الحق والعدل، بل اية اشارة او عبارة تدل على تذمرهم من السلوك الاسرائيلي، اذا بهم يتراجعون في اليوم التالي عن قراراتهم وتصريحاتهم تحت ضغط هذا الاخطبوط الممسك برقابهم والمتحكم بثرواتهم النقدية، والصناعية، والتجارية، وبمراكز اعلامهم المقروءة والمسموعة والمرئية.

على ان الضغط العربي والعالمي كان اقوى في المدة الاخيرة من التعنت الاسرائيلي فاعلنت رأس تلك الدول انها ستعمل لحل قضية الشرق الاوسط

(فلسطين) واستدعت حكام اسرائيل اكثر من مرة لهذا الغرض وبدا لحكام اسرائيل ان الموقف جدي هذه المرة فماذا حدث؟

اننا نعود بالقارئ الكريم الى فترة حكم الرئيس الراحل عبد الناصر وقصة السلاح، وامتناع اميركا ودول اوروبا يوم ذاك عن تزويده به وكيف ان روسيا فتحت ترساناتها له، لقاء ثمن مقسط ولكن عبد الناصر ذهب واستمرت روسيا على موقفها مع العرب متظاهرة بتأييد حقهم لا حبًا بهم و لكن نكاية باميركا الى ان جاء حاكم روسيا الجديد «ميخائيل غورباتشيف» وهنا استطيع القول بان التغيير قد بدأ لاسباب اهمها: الانهيار الاقتصادي الناتج عن المبدأ الشيوعي القائل «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته»، فانه من الطبيعي ان لا يتوفر فائض في الانتاج لان العامل والصانع والتاجر والفلاح لا يبذل اي منهم جهدا كبيرا لزيادة انتاجه او صناعته او تجارته بل يعمل بقدر حاجته وهذا يعني ان البلادة في العمل واللامبالاة سيطرا على جميع القطاعات العاملة في الاتحاد السوفياتي الذي وجد نفسه نتيجة لذلك متخلفا عن اميركا واوروبا واليابان وسواها من البلاد المتقدمة.

وقد انكشفت الاوضاع الاقتصادية على حقيقتها وواقعها المزري حينما بدأ زعماء الاتحاد السوفياتي الجدد يعملون لعودة النظام الرأسمالي الى درجة دفعتهم للاستنجاد بالحكومات الاخرى لتزويد الشعب السوفياتي بالاغذية التي فقدت من الاسواق.

وهكذا نجد ان النظام الاقتصادي الشيوعي سقط مترنحا تحت مطارق الزمن وسجل فشلا ذريعا.

اما السبب الثاني فإنني ارى ان للصهاينة يدا في هذا الانقلاب المفاجيء، فقد بدا لزعماء اليهود ان الضغط العربي والاوروبي والدولي على اميركا بشأن قضية فلسطين قد بلغ ذروته وان العالم كله يوآزر الشعب الفلسطيني ويسانده في قضيته الحقة وقد اصدرت هيئة الامم ومجلس الامن الدولي عدة قرارات تؤيد هذا الحق وتطلب من الصهاينة الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة وانه في النهاية لا بد من

الاذعان للمطالب الدولية وان هذا الموقف لا بد له من التأثير على اميركا عاجلا او اجلا وان الحديث بحل هذه القضية دخل طورا جديا ـ والحل لا يناسبهم لانهم يعتبرون ذلك نهاية لاسرائيل ـ فعمدوا اول ما عمدوا الى المصالحة بين الجبارين اميركا وروسيا، ثم عمدوا الى التغيير في هيكلية الكيان الشيوعي بل الى فرطه وازالته هربا من الكأس المريرة التي سيجرعونها حيث يعتقد الصهاينة ان السلم والمصالحة هو اول الطريق لتدمير دولتهم، وللحيلولة دون اقامة حكومتهم العالمية، وان هذا الهدف بدأ يترنح ويهتز تحت وطأة الضغط العالمي وانكشاف مطامعهم التوسعية ولهذا بدأت حبات العقد الشيوعي تنفرط حبةً حبةً ففي الاتحاد السوفياتي وفي دول المنظمةِ الشيوعية كبولونيا والمانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا تقوم التظاهرات مطالبة بابعاد الشيوعيين عن الحكم والاخذ بمبدأ تعدد الاحزاب، كما تنتفض الاقليات والمقاطعات كلتوانيا مثلا مطالبة باستقلالها وانفصالها متبرئة من الشيوعية التي اصبحت عندهم اتهاما يساق من اجله الحكام والسياسيون الى المحاكمة والموت، والشريك السوفياتي يتفرج بل يبارك ويؤيد هذا كله وربما كان الصهاينة يفكرون بسحب تأييد السوفيات للعرب وافقادهم الحليف القوي الذي كان يمدهم بالسلاح والعتاد ويوآزرهم سياسيا في المحافل الدولية، ربما كان الصهاينة يفكرون بذلك بل هم حقيقة يفكرون بكل ما يفشل حل قضية فلسطين، وها نحن نثبت بالدليل ما ذهبنا اليه ببيان مؤتمر القيادة المسيحية الصهيونية الدولية، الذي عقد في بال سويسره من ٢٧ آب عام ١٩٨٥ الى ٢٩ منه ومما جاء فيه:

نقول للاتحاد السوفياتي: ان الشعب اليهودي ليس مجرد بيادق في الصراع بين الشرق والغرب، انهم بؤبؤ عين الله، ولا يمكن ان يباركك الله بل يلعنك مثلما لعن فرعون حتى تدعهم يذهبون احرارا الى اسرائيل مباشرة، ونقول بكل قوتنا للرئيس ميخائيل غورباتشيف وزعماء هذه الدول التي تحول دون هذه الهجرة اليهودية، يجب عليكم «ان تدعوا شعبي يذهب» والا لن تحصلوا على تجارة او مساعدة غذائية او تكنولوجية متقدمة او سلع وخدمات اخرى تحتاجون اليها ولن نريحكم من سباق التسلح الذي يزعزع قوتكم الانتاجية القومية.

إننا نطالب بان يسمح لجميع اليهود السوفيات الذين يرغبون في الهجرة بأن يهاجروا ولو زاد عددهم على مليونين ونصف مليون شخص، ومنهم من يسمون المنشقين». او «الرافضين» او «اسرى صهيون «دون ان تنصب في طريقهم العوائق كرسوم الخروج او العوائق العسكرية او الأمنية او الارتباط بعائلة مُعْرضةٍ عن الهجرة[٢٦]».

النظام الوسطي الاسلامي

لقد عالج الاسلام تلك الانظمة التي ذكرناها بالوسطية وهي التي وضعها الله سبحانه وتعالى بقوله «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا[٢٧]».

ومعنى الآية: لا افراط ولا تفريط، لا يمين ولا يسار لا بخل ولا تبذير بل ـ العدل والتوسط بين الاثنين، فان احتكارك المال يجعلك تقتر على نفسك واهلك، وتحرم منه المعوزين والمحتاجين وحينذاك تصبح ملوما من الله ومن الناس، واحيانا من نفسك بسبب البخل، كما انك اذا اسرفت في انفاق المال في غير الوجوه المشروعة تصبح محسورا نادما على الاسراف ومنقطعا عن المقاصد والاعمال بسبب الفقر وقد وصف الله المبذرين بانهم «اخوان الشياطين، قال تعالى: «وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، ولا تبذر تبذيرا، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا[٢٨]».

وقد شدد الله سبحانه وتعالى على هذه الوسطية فقال: «وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا[٢٩]».

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «خير الامور اوسطها» وقال الامام علي رضي الله عنه: «عليكم بالنمط الاوسط فاليه ينزل العالي، واليه يرتفع النازل».

ان فلسفة الاسلام «الوسطية» هي ان المحتكر الذي يكنز الذهب والفضة ولا ينفق منه في وجوهه المشروعة يحدث خللا ظاهرا في مسألة توزيع الثروة الوطنية بالعدل بين المواطنين، كما انه يحدث خللا في بنية المجتمع فيكثر عدد الفقراء، وتنشأ

الطبقات، وتشتعل الحروب، كما ان المبذر المسرف في الانفاق يخل ايضا بميزان الثروة الوطنية ويصبح عاجزا عن اعالة نفسه وعائلته بل يصبح عضوا اشل في مجتمعه وعالة عليه، ولذلك هدد الاسلام المحتكرين فقال تعالى، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبَشِرْهم بعذاب اليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم، فذوقوا ما كنتم تكنزون(٣٠)».

بهذه الاية الصارخة اعلن الاسلام حربه على الرأسمالية المطلقة وقيدها بنظام الوسطية والانفاق في سبيل الله، والعيال، والمؤسسات الخيرية والمجاهدين لاعلاء كلمة الله والمشروعات العمرانية لصالح الامة على ان يتقيد ذلك بالعدل فلا افراط ولا تفريط ولا اسراف ولا تبذير.

وكذلك حرم الاسلام الربا فقال تعالى: «واحل الله البيع وحرم الربا(٣١)».

واعلن حربه على المرابين المستغلين فقال تعالى: «يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون(٣٢)».

وكذلك زيادة في توثيق الوسطية وعدم انحرافها عن الوسط فرض الله سبحانه وتعالى الزكاة وجعلها ركنا من اركان الاسلام قال تعالى: «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة(٣٣)».

وقال عليه الصلاة والسلام: «بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وايقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان(٣٤)».

وقد فسر علماؤنا هذه الفريضة بقولهم ان المال محبوب بالطبع لانه سبب في حصول القدرة على تحصيل الشهوات والاغراض، والقدرة من صفات الكمال الدنيوي فيكون المال سببا في ذلك، والمال محبوب والنقصان مكروه، الا ان

الاستغراق في حبه يحول النفس من حب الله تعالى الى حب الدنيا ويشغلها عن التزويد للآخرة، فلهذا حكم الله بتكليف مالك المال ان يخرج مقدارا منه قهرا للنفس وزجرا لها من شدة الميل اليه، فكان ايجاب الزكاة علاجا لازالة مرض حب الدنيا من القلب(٣٥)» وسنكمل بحث الزكاة في باب «النظام المالي» ان شاء الله.

وها نحن نرى اليوم ان الرأسمالية تترنح تحت مطرقة التجارب الزمنية فالتضخم الذي يسود الاوضاع الاقتصاديه في بلاد الغرب، والبطالة التي سببتها الآلة، والتفاوت الطبقي الملفت، إن هي الا عوامل تنخر كيان هذا النظام وستسقطه ان عاجلا او آجلا.

ان الرأسمالي تحت ظل هدفه الاول وهو الربح باية وسيلة سواء اكان ذلك بالانتقاص من حق العامل واعطائه اقل قدر من الاجر لقاء اكبر عدد من ساعات العمل، او بتقليص يديه عن طريق انتاج الآلات التي يستغني معها عنه ويجعله عرضة للبطالة وعدم القدرة على استثمار امواله القليلة، او بالمنافسة او بالمضاربة والقضاء على كل مزاحمٍ له في مشروعاته والاستئثار بالزبائن والاسواق، او بالتجارة بين الاقطار والتفتيش عن الارباح في كل اقطار العالم، ان الرأسمالي في ظل ذلك جميعه يعتبر في نظر الاسلام مخربا للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ويجب ردعه وتقويمه، وان النظام الرأسمالي الذي يقوم على اطلاق الحرية الشخصية والانانية الفردية في التملك واباحة الاحتكار والربا والمضاربة وتجريد الانسان من ميوله الروحية والخلقية يعتبره الاسلام نظاما ماديا يتناقض مع تعاليمه الهادفة الى اسعاد البشرية والمساواة بين افرادها.

هذا النظام الذي يسميه الغرب بالنظام الحر هوسبب التفاوت الطبقي والاقطاع المستبد كما قدمنا، فبواسطة الراسمال يشتري الاغنياء الارض والآلة يستعبدون بهما العمال الفقراء ولا يمكنونهم من تشغيل رأسمالهم البسيط اذا وجد، حيث يبسطون سلطتهم على الاسواق التجارية بالبضائع التي يغرقون بها تلك الاسواق، وعند ذلك يضطر العمال والفقراء الى العمل في ارض مشتثمريهم وفي ظل آلاتهم ويتعذر فى اوضاعهم هذه النُّهوض مِّما هم فيه من فقر وعوز.

لن يجد العالم حلاً لمشاكله الا بالوسطية الاسلامية المبنّية على العدل وكرامة الانسان، وستزول الراسمالية إن عاجلاً او آجلا ويبقى الاسلام هو الحل لجميع قضايا الانسان.

هوامش

١ ـ النساء: ١

٢ ـ البقرة: ٢١٣

٣ ـ الانعام: ٧٥ ـ ٧٩.

٤ ـ القصص: ٤

٥ ـ النازعات: ٢٣و ٢٤.

٦ ـ آل عمران: ١٥٩

٧ ـ الشورى: ٣٢

٨ ـ عن الاسود انفرد به البخاري في باب «الادب»

٩ ـ حديث صحيح متفق عليه

١٠ ـ عن جرير اخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين انظر احياء علوم الدين للغزالي جزء ٢ ص ٢٨١.

١١ ـ عن ابي هريره وابي ذر اخرجه ابو داوود والنسائي (المرجع نفسه).

١٢ ـ عن زيد بن ابي ثابت في الشمائل اخرجه الترمذي (المرجع نفسه).

١٣ ـ حديث صحيح متفق عليه.

١٤ ـ احكام القرآن للقرطبي جـ ٤ ص ٢٥٠.

١٥ ـ عن انس وعائشه رضي الله عنهما رواه مسلم.

١٦ ـ المذاهب الاقتصادية ترجمة (راشد البرادي) مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٨١.

١٧ ـ انظر بروتوكولات حكماء صهيون لشوقي عبد الناصر ص ١٩٧.

١٨ ـ المرجع نفسه ص ٢٦.

١٩ ـ الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون لمحمد خليفه التونسي

٢٠ ـ بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود لشوقي عبد الناصر.

٢١ ـ الحج ٤٧

٢٢ ـ المعارج ٤

٢٣ ـ الذاريات ٤٧

٢٤ ـ الرعد ٤١

٢٥ ـ راجع بروتوكولات حكماء صهيون ـ لشوقي عبد الناصر.

٢٦ ـ انظر الحرب بين الكنائس الاميركيه والعربيه ١٩٨٨م دار الوحده، وتقرير مجلس كنائس الشرق الاوسط عن الحركات الانجيليه الغربيه الجديده حيال الشرق الاوسط (سلسلة المسيحية العربية عدد ٣ ص ٢٩/ ٢٠).

٢٧ ـ الاسراء: ٢٩.

٢٨ ـ الاسراء: ٢٦و ٢٧.

٢٩ ـ البقره: ١٤٣.

٣٠ ـ التوبه: ٣٤و ٣٥.

٣١ ـ البقرة: ٢٧٥.

٣٢ ـ البقرة: ٢٧٨و ٢٧٩.

٣٣ ـ البقره/٤٣.

٣٤ ـ حديث صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه متفق عليه.

٣٥ ـ الفتوحات الربانية لمحمد الحكيم ج ١ ص٢١٣.

الفصل الثاني

موقف الاسلام من الفرد

لابد في البدء من ايضاح مهم لموقف الاسلام من الانسان ايا كان هذا الانسان والى اي عرق انتمى، لا فرق بين ابيضه واسوده واصفره الا بقدر ما يقدم لمجتمعه البشري من خير ونفع، فقد اعتبره الاسلام فرعا من الشجرة البشرية التي اشار اليها القرآن الكريم، قال تعالى: «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا[1]».

رد الله سبحانه الانسان الى اصله ادم واعجازه في خلقه ليدرك الانسان عظمة الخالق وخلق حواء من ضلعه فتناسلا وانجبا رجالا كثيرا ونساء كثيرات وهنا يقول سبحانه في معرض التوحيد: اتقوا الله اي خافوه واخشوه فهو الذي خلقكم وبالرغم من ذلك لا تزالون تتساءلون حوله كأنكم في حيرة من امركم تجاهه، واتقوا الارحام فلا تقطعوها بتنافركم وكفركم به فهو يراقب تصرفاتكم ويسجل اعمالكم.

اية صلة بين البشرية اقوى من صلة الارحام التي امر الله الانسان بالمحافظة عليها وعدم عصيانه بقطعها؟فقد فسر جماعة من العلماء قوله تعالى: «اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام» فقالوا: انهم كانوا يتساءلون بها يقول الرجل: سألتك بالله والرحم وهكذا فسرها الحسن والنخعي ومجاهد، وقال الامام القرطبي: /ردا على من خالف هذا التفسير لا يبعد ان يكون مرد الارحام من هذا القبيل فيكون اقسم بها كما اقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدا لها حتى قرنها بنفسه ويؤيد ذلك ان العرب تقسم بالرحم[2].

واضيف مؤكداً ما ذهبت اليه بأن هذه الآية تنهى عن قطع الرحم او الاساءة اليها بصورة عامة شاملة لكل الناس مصداقا لقوله تعالى: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم، اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم(٣)».

انها لا تؤكد امراً واقعاً وانما تفرض واقعاً جديداً لم يألفه العرب وغيرهم، ومن اجل هذا اعلن نبي الاسلام في خطبة الوداع فقال: «ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام» وقال تعالى: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق»(٤)، حتى الكلمة امرنا ان نقولها للناس حسنة: قال تعالى: وقولوا للناس حسنا(٥)، ولم يفضل الاسلام احدا على احد الا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: «يا ايها الناس انّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم»(٦). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله(٧)».

تعاليم الله اذاً واحدة، والاديان في جوهرها واحدة تنهى عن الفحشاء والمنكر والاذى والشر وتأمر بالخير والمعروف وتقول بوحدانية الله، فدين ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والانبياء من قبلهم لا يمكن الا ان يكون الا واحدا لخير البشر، وهذا ما قرره الله في القرآن الكريم: آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير(٨)»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخلق كلهم يُصلُّون على معلم الخير حتى لينان البحر (اي حيتان البحر)(٩)، وقال تعالى: «قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط، وما اوتي موسى وعيسى، وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون(١٠)».

من هذه النظرة الشاملة انطلق الاسلام في فهم الانسان وتقديره فهو اقرب مخلوق عند الله فضله بالعقل على سائر مخلوقاته ورمز اليه بآدم ابي البشر فجعله خليفة على ارضه ينفذ اوامره واحكامه، قال تعالى: «واذ قال ربك للملائكة اني

جاعل في الارض خليفة الى قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم، قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال: الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين [١١]»

لقد ميز الله ادم الانسان في هذه الايات باربعة اشياء:

اولا: كرمه بان جعله خليفة على ارضه.

ثانيا: كرمه بالعلم اذ علمه الاسماء كلها ـ وهذا يعني وضع فيه امكانية كشف اسرار الكون ومخبآته.

ثالثا: كرمه بالسجود له: سجود تعظيم واجلال لا سجود عبادة، فقد حرم الله السجود لغيره كما حرَّم محمد صلى الله عليه وسلم على الناس السجود لغير الله، فقد روى ابن ماجه في سننه والبستي في صحيحه عن ابي واقد قال: لما قدم معاذ بن جبل الى الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ما هذا؟ فقال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم واساقفهم فاردت ان افعل ذلك بك، فقال: لا تفعل فاني لو امرت شيئا ان يسجد لشيء لامرت المرأة ان تسجد لزوجها، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه» وفي بعض طرق معاذ «نهى عن السجود للبشر وامر بالمصافحة[١٢]».

وهنا لا بد من توضيح امر لا بد من توضيحه في قوله تعالى على لسان الملائكة: قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الى اخر (الآية) فقد توهم بعض الذين يفتشون عن ثغرة ولو صغيرة للدخول منها الى انتقاد الاسلام وكتابه فيتساءلون بخبث كيف يعترض الملائكة على مشيئة الله ويناقشونه في امر جعل آدم خليفة؟ والحقيقة هي ان الله سبحانه صور ما يدور في نفوس الملائكة استنتاجا من ان هذا الانسان المخلوق من طين وماء سيفسد في الارض ويسفك الدماء نظرا لطبيعته

البشرية ـ وطبع الماء والطين الكدر ـ ودليلنا على ذلك قوله تعالى في الآية التالية: «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وماذا يكتم الملائكة غير هذه التصورات والتخيلات عما سيكون عليه انسان الارض؟

رابعا: كرمه وكرم ذريته بتسخير ما في السموات وما في الارض لهم قال تعالى: «الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة[١٣]» وقال تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا[١٤]».

كما ان الاسلام اقر حقوق الانسان الاساسية وهي:

الحرية الشخصية:

فقد ربط الله سبحانه هذه الحرية بعقيدة التوحيد وموضعها الشهادة، فالشق الاول منها اشهد ان لا اله الا الله يحرر الانسان من اهوائه ومطامعه وشرور نفسه كما يحرره من عبودية اي مخلوق، والشق الثاني منها: تكريم له حيث اختار الله سبحانه رسله وانبياءه من بني الانسان.

كما ان السنة النبوية تقرر هذه الحرية للاحرار والعبيد ولكل انسان لا ينحدر به عمله او قوله عن مرتبة الانسان، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد اصحابه حين بلغه انه غيَّر غلامه بامه السوداء (اخوانكم خولكم جعلهمَ الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه[١٥]).

كما ان الانسان متساو مع اخيه الانسان لا يفضله الا بالتقوى والعمل الصالح فقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم حينما مرت جنازة فقال له بعض اصحابه: انها جنازة يهودي فقال: او ليست نفسا؟».

اما الامثلة العملية على ذلك فالتاريخ الاسلامي مليء بها نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر يوم ان اختلف احد ابناء عمرو بن العاص وكان واليا على

مصر مع احد الاقباط فصفعه وقال له انا ابن الاكرمين ولما شكاه القبطي الى الخليفة عمر رضي الله عنه امر القبطي بان يقتص منه ويصفعه كما صفعه وصرخ في وجه ابن عمرو قائلا: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا؟

كما نذكر للفقهاء رأياً لا أجل ولا أروع منه في تقديس الحرية وتقديمها حتى على الدين فقالوا: اذا اختلف نصراني ومسلم على صبي متنازع عليه فقال المسلم هو عبدي وقال النصراني هو ابني فالولد بالاجماع للنصراني وهو حر[١٦].

حرية الرأي:

شجع الاسلام حرية الرأي حتى ولو كان نقدا للحكام شرط ان يكون بناءً لا هداما. مهذبا لاسباباً مقوما لاعوجاج الافراد والحكام، قال تعالى: «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر[١٧]»، ومعنى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في حقيقته ابداء الرأي في سلوك المخاطب ونصحه بالمزيد منه اذا كان حسنا والابتعاد عنه اذا كان سيئا، وقد تكررت هذه الدعوةمن الله سبحانه في كثير من ايات القرآن الكريم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان[١٨]، وقال ايضا/ : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت[١٩].

ومن الامثلة الواقعية التي يزخر بها تاريخ المسلمين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه، فقام احد المسلمين شاهرا سيفه وقال: والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي وجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر لا خير فيكم اذا لم تقولوها و لاخير فينا اذا لم نسمعها».

كما يحدثنا التاريخ ان عقبة الازدي قدم للخليفة معاوية ابياتا من الشعر قال فيها:

معاوي اننا بشر فاسحج

فلسنا بالجبال ولا الحديد

اكلتم ارضنا فجردتموها

فهل من قائم هل من حصيد؟

اتطمع بالخلود اذا هلكنا

وليس لنا ولا لك من خلود؟

فهبنا امة هلكت ضياعا

يزيد اميرها وابو يزيد

فاستدعاه معاويه وسأله: ما الذي جرّأك علي؟ فقال: نصحتك اذ غشوك، وصدقتك اذ كذبوك. فقال معاويه: ما اظنك الا صادقا وقضى حوائجه.

هذه بعض الوقائع على سبيل المثال لا الحصر.

حرية العقيدة:

اما حرية العقيدة فلها المكانة الاولى في الشريعة ذلك لان الله سبحانه وتعالى يريد من الذين يعتنقون دينه ان يكونوا مختارين غير مكرهين، ومقتنعين غير مقلدين قال تعالى: لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي[٢٠]، وقال تعالى: ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[٢١]، وقال تعالى مخاطبا رسوله: فذكر انما انت مذكر، لست عليهم بمسيطر[٢٢]، وقال تعالى: فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ[٢٣] وأنب الله الذين يتبعون دين آبائهم واجدادهم دون امعان نظر او الاستناد الى دليل فقال: واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول، قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون[٢٤]، وقد حث الله

الناس على النظر في انفسهم، وفي خلق السموات والارض وما فيهما وعليهما من شموس واقمار ونجوم، وبحار وأنهار وجبال ونبات وحيوانات ليدركوا بانفسهم عظمة الخالق ويؤمنوا به عن يقين واقتناع، وقد اراد صحابي اكراه ولدْينِ له على اعتناق الاسلام فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

ومن الحوادث الواقعية نقدم للقاريء عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم حضرته الصلاة وهو في كنيسة القيامة (بيت المقدس) فصلى خارجها، ولما سئل الا تجوز الصلاة في الكنيسة؟ قال: خشيت ان اصلي فيها فياخذها المسلمون من بعدي ويتخذوها مسجدا.

والاسلام ينطلق من مبدأ تفضيل ذي الدين على من لا دين له فعمل على حماية الذين لا يعتنقونه والذين هم تحت حكمه فسهل لهم القيام بشعائرهم الدينيه وهذا ما جعل فقهاء المسلمين يقررون: امرنا بتركهم وما يعبدون.

حرية العمل:

حث الاسلام على السعي والعمل وعاب التواكل والكسل وسؤال الناس قال تعالى: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله[٢٥]»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اكل احد طعاما قط، خيرا من ان ياكل من عمل يده، وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده[٢٦]» وقال: «ان الله يحب المؤمن المحترف[٢٧]».

وقال ايضا: لئن يأخذ احدكم أحبله ثم ياتي الجبل فياتي بحزّمةٍ من حطب فيبيعها فيكفً الله بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه[٢٨]» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وان الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قوله تعالى: «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون[٢٩]».

ويروى ان رجلا ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والعمل،

وقالوا: صحبناه في سفر فما راينا بعدك يا رسول الله اعبد منه كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام، فقال: فمن كان يمونه ويقوم عليه؟ قالوا: كلنا، قال: كلكم اعبد منه».

وقد اطلق الاسلام حرية العمل فللانسان ان يقوم بأي عمل مهما كان متواضعا في سبيل اعالة نفسه وعياله الا اذا كان الشرع قد حرمه كالعمل في بيع الخمر ولحم الخنزير او الملاهي واندية القمار وما شابه.

وقد كان الخلفاء الراشدون يعملون وكانوا يتعاهدون السوق لتحصيل معاشهم فقد كان أبو بكر رضي الله عنه بزازا وكان عمر رضي الله عنه يعمل في بيع الادم (ما يؤكل بالخبز)، وكان عثمان رضي الله عنه تاجرا يجلب الطعام ويبيعه وكان علي رضي الله عنه يكتسب بالعمل، وقد روي عنه انه آجر نفسه اكثر من مرة، كل ذلك لتعليم الناس ودفعهم الى العمل والسعي.

حرية المسكن:

وضمن الاسلام للانسان حرية المسكن فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم[٣٠]»

هذه الآية الكريمه تكرس حرمة المنزل الذي ياوي اليه الانسان وتمنع غيره من الاطلاع على داخله صونا لحرمة اهله وسترا لعوراتهم واستدامة لصفائهم وقيدت ذلك بالاستئذان فان اذن له دخل والا فلا وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربعي قال: حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال النبي لخادمه: اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقال له: قل: السلام عليكم أأدخل[٣١]؟

وهذه الآية تمنع دخول البيت الذي ليس فيه احد وعلل ذلك بقوله تعالى: هو

ازكى لكم اي اطهر لعيونكم من ان ترى عورات الناس وابعد لسمعتكم عن التهمة «واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا»، ومن هنا استنتج الفقهاء حكم شرعية المسكن بمنع الزوجين من اسكان ولد احدهما المميز في البيت الزوجي الا برضاهما صونا لحرية المسكن، وطلبا لصفاء الحياة الزوجية، واشترط الاسلام لدخول البيوت غير المسكونة وجود متاع فيها للداخل اليها، فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم[٣٢]» والمقصود من متاع اي المصلحة والمنفعة.

الضمان الاجتماعي:

لقد كفل الاسلام للانسان حقه في الحياة الكريمه دون نظر الى عرقه ودينه ولونه ففرض على الاغنياء مقدارا معينا من اموالهم لاغاثة الملهوفين وسد عوز المحتاجين فقال تعالى: «وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم[٣٣] فجعل سبحانه هذا القدر من المال حقا لاصناف ثمانية ذكرهم كما سنبين ذلك في النظام المالي وسمىّ هذا الحق الزكاة ومعناها لغة الطهارة والنمو أي انها تطهر نفس المزكي من الانانية والاثرة وحب المال كما ان الله سبحانه يبارك له في ماله وينميه وهذا هو الضمان الاجتماعي لان هذا المال ينفق على الانسان الذي يعمل ولا يكفيه عمله او الذي لا مال له للانفاق او العاجز بفعل مرض او شيخوخة او من لا يجد عملاً اوالى باقي الذين عددتهم الآية «انما الصدقات للفقراء والمساكين».

كما اقام الاسلام لهذا المال مكاناً خاصا أطلق عليه اسم «بيت مال المسلمين» واذا كان الله سبحانه قد ضمن الرزق لعباده، ولكل ذي روح وحياة فقال: «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها[٣٤]»، والدابة كل ما يدب على الارض من انسان وحيوان او غيرهما افلا يجدر بالانسان ان يتعاهد اخاه الانسان ويرعاه في حالات ضعفه وعجزه عن تحصيل الرزق؟

لقد قام بيت مال المسلمين بدوره الاجتماعي خير قيام فقد روى ان عمر رضي الله عنه رأى شيخاً ضريرا يستجدي المارة فسأل عنه فقيل له: هو يهودي فاخذ عمر رضي الله عنه بيده الى منزله فأطعمه واكرمه واعطاه ما تيسر من المال وامر امين

بيت المال فرتب له ما يكفيه شهريا وتلا قوله تعالى: «انما الصدقات للفقراء والمساكين» وهذا من مساكين اهل الكتاب. ويتجلى هذا الضمان بأروع صورة في المسؤولية المتبادلة التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «كلكم مسؤول عن رعيته، فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في اهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال ابيه وهو مسؤول عن رعيته، وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته[٣٥]».

هذه المسؤولية التي قررها الاسلام هي من باب الضمان الاجتماعي الذي يجيز للمسلم ان يجيز المستجير وهذا العهد محترم عند اخوانه المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم: « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم[٣٦]»، وقد طبق الضمان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنوره بين المهاجرين والانصار حيث شارك المهاجرون الانصار مشاركة فعلية في عملهم ومعيشتهم حتى لتحسبهم وكانهم اسرة واحدة في النسب والقربى.

حرية التربية والتعليم:

قلنا ان الاسلام ابتدأ رسالته بالعلم وسماه سلطانا وبيّن للناس مكانة العالم والمتعلم فقال تعالى: «يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات[٣٧]»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم[٣٨]»، وقال: العلماء ورثة الانبياء[٣٩]، وفرضية طلب العلم تستدعي اجبار الوالد على تعليم ولده فان عجز فعلى بيت مال المسلمين كفايته.

لقد تطور العلم حتى صار في بعض القوانين الحديثه الزاميا لا سيما في المرحلة الابتدائيه، ومن حقنا ان نفخر نحن المسلمين بان شرعنا الاسلامي توصل الى فرض العلم وجعله الزاميا منذ اربعة عشر قرنا ونيف.

حرية الملكية الخاصة:

والاسلام انطلاقا من فهمه لجوهر الاشياء وحقائقها وجد ان الناس متفاوتون

في الخلق ذكاء وغباوة، وطموحا وقناعة وعلما وجهلا وصحة وعجزا، فمن الغبن ان يكونوا كلهم درجة واحدة في التحصيل لغيرهم كما تفعل الشيوعية، ومن الظلم ان يكون تفاوتهم في التحصيل والحيازة مفرطاً الى حد الكنز والادخار كما تفعل الراسمالية لذلك قال تعالى: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون[٤٠]، أي فاضلنا بينهم بين فضل ومفضول وقيل بالغنى والفقر، وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واقول بان التفاضل في القدرات والكفاءة والاهلية ومعنى سخريا اي يسخر بعضهم لبعض في المعرفة والحرفة كالمعلم للتلميذ، والبناء للمسكن، والطبيب للمريض، كل هذا باجر مقابل وليس بالسخرة كما يتوهم، اما قوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون اي رحمة الله خير وافضل في ابعاد المرض والهم والمصائب والاحداث عن الانسان فذلك خير مما يجمعه الانسان من اموال وحطام.

من هنا انطلقت الوسطية التي امر بها الاسلام وقد بينا آنفا بانها «لا افراط ولا تفريط ولا تبذير ولا تقتير»، قال تعالى: والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواما[٤١]».

وبما ان الاسلام اباح للانسان التملك وامره ان يسعى وراء المال لقوته وقوت عياله فله ان يفعل ذلك ويدخره للوقايه من المرض والعري والجوع او لتعليم اولاده او لقضاء ايه حاجة من حاجاته بشرط ان لا يندرج هذا الادخار في خزائن الكنز والاحتكار، لان العلة في منع ذلك هي عدم الاخلال بميزان الاسلام الاقتصادي ـ الوسطية ـ حيث يخل الكانز والمحتكر في توزيع الثروة الوطنية وتداولها بين افراد الامة كما يخل بقوت اهله وعياله فيقتر عليهم وينقص من الحق الذي فرضه الله للفقراء والمساكين، ويقبض يده عن اعمال الخير والبر وهي الصالحات الباقيات عند الله، مصداقا لقوله تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املاً[٤٢].

هذه الملكية التي لا تعتدي على نفسها ولا تخل بملكية الاخرين فتطمسها او تنقص منها هي التي كفلها الاسلام واعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه

الكفالة في خطبة حجة الوداع حين قال: «ايها الناس: ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»[٤٣].

الحجر الصحي والوقاية:

كذلك اهتم الاسلام بصحة الانسان التي عليها مدار عمران الكون، فقال تعالى / «ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة[٤٤]»، فسرها بعضهم بان التهلكة هي ترك الجهاد او الامتناع عن بذل الصدقات هذا التفسير لا يتعارض مع القول بعدم اقحام المرء نفسه في المواضع التي تؤدي به الى الهلاك، فقد قال تعالى: «ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما، ومن يفعلْ ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً[٤٥]، وهذا تهديد من الله سبحانه للذي يقتل نفسه عمداً او ينتحر لأي سبب كاليأس او الضجر، او الاملاق والفاقة وسوى ذلك وإن جزاء من يفعل ذلك عذاب النار وقد احتج عمر رضي الله عنه بهذه الآية فامتنع عن الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه وكان ذلك في غزوة ذات السلاسل فقبل النبي ذلك ولم يقل شيئا.

لقد وضع الاسلام قاعدة الحجر الصحي حين تفشي الاوبئة والامراض السارية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا فرارا منه[٤٦]»، وقال ايضا: «فر من المجذوم فرارك من الاسد[٤٧]».

وهكذا نرى ان الاسلام لم يترك ما يعزز دور الانسان روحيا وجسديا الا وقرره ودعا اليه حتى يتكون الانسان القوي الذي يريده الله واني اقدم لك ايها القارئ بعض الصور عن هذا الانسان الذي تخلق بخلق القرآن وهي صور ناصعة من الاف الصور التي يحفل بها تاريخنا الاسلامي لترى الى اي مدى اوصلت التنشئة الاسلامية ابناءها.

روي ان الخليفة سليمان بن عبد الملك قدم المدينة للزيارة وبعث الى احد علمائها ابي حازم يعلمه بقدومه، فلما دخل عليه قال: تكلم يا ابا حازم، قال: نعم اتكلم يا امير

المؤمنين، لا تأخذ الاشياء إلا من محلها، ولا تضعها الا في اهلها، قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال من قلده الله من امر الرعيه ما قلدك، قال: عظني يا ابا حازم، قال: اعلم ان هذا الامر (يقصد الخلافة) لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك، وهو خارج من يديك بمثل ما سار اليك قال: ما لك لا تجيء الينا؟ قال: وما اصنع بالمجيء اليك يا امير المؤمنين؟ إنْ أدنيتني فتنتني، وإنْ اقصيتني اخزيتني، وليس عندك ما ارجوك له، ولا عندي ما اخافك عليه، قال فارفع الينا حاجتك، قال: قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها، فما اعطاني قبلت وما منعني رضيت».

وشهد شاهد عند عمر رضي الله عنه في قضية، فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل فاثنى عليه خيرا، فقاله له عمر: انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق؟ قال: لا، قال: فعاملته بالدرهم والدينار الذي يستبينه ورع الرجل؟ قال: لا، قال: اظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن، يخفض رأسه تارةً ويرفعها اخرى؟ قال نعم، فقال عمر اذهب فلست تعرفه، وقال للرجل: اذهب فائتني بمن يعرفك».

وروى عن محمد بن المنكدر ان غلامه باع لأعرابي في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلم يزل محمد يطلب ذلك الاعرابي طول النهار حتى وجده فقال له: ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة، فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وان رضيت فاننا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا ورد عليه خمسة».

نعم هكذا ربَّى الاسلام ابناءه، فقد رافق المسلم جنينا فوصف مراحل تكوينه مرحلة مرحلة في حين لم يتوصل الطب الى معرفة هذه المراحل الا حديثا قال تعالى:«ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما، ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين[٤٨]».

ثم شرع لهذا الجنين احكاما فجعل له ميراثا إن خرج حياً أو خرج اكثره حيا فمات اما اذا خرج بجناية كما اذا ضربت امه فماتت ونزل ميتا فانه يرث وتورث عنه

(الغره) وهي خمسماية درهم لانه يجعل حيا تقديرا ثم مات عن الغره، فتنتقل لورثته، واجاز الوصية له شرط ان يولد حيا، وشرع احكام ولادته وتصرفاته فابطلها قبل التمييز حماية لحقوقه واجازها بعد التمييز فيما اذا كان فيها نفع له، واحكام الولاية عليه في النفس والمال في حال صغره لاقاربه العصب من الرجال، والوصاية عليه في حال عدم وجودهم، واحكام رضاعه وحضانته ونفقته ومرضه، وشيخوخته، وجنونه وعتهه وسفهه (اي تبذيره) ودَيْنه، وغفلته وتجارته، وشراكته، ومزارعته، وبيعه وشرائه، ورهنه وهبته، وغيبته المنقطعه (المفقود) ووقفه، وفي مماته شرع احكام تجهيزه ودفنه وحرمة كسر عظمه، وميراث تركته، هذا لجهة احواله الشخصية.

اما من الناحية النفسية والخلقيه فقد امر ذويه بتعليمه الصلاة في السابعة من عمره وتفقيهه في الدين وتكليفه في سن البلوغ بمختلف العبادات التي فرضها الاسلام كالزكاة والحج والصيام، يقول الله تعالى في ذلك: «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال بعيد[٤٩] وهذا يعني ان التزكية الروحية هي الاساس وهي مقدمة على العلم الذي هو وسيلة اليها، واما المرأة فقد رافقها الاسلام كما رافق الرجل في جميع مراحل حياتها وشرع لها من الاحكام ما شرع له ولم تكن باقل تكريما من الرجل الذي خلقها الله من نفسه وبذلك قرر الاسلام مبدأ المساواة فقال تعالى: «ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون[٥٠] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: النساء شقائق الرجال[٥١]»، ومنحها الحريات الكاملة التي منحها للرجل واطلق يدها في التصرف باموالها الخاصة دون الرجوع الى الزوج وكلفها بالعبادات وامرها بالحشمة في لباسها ومظهرها خشية الفتنة والاغراء كما امر الرجل، ونهاها عن التشبه بالرجل كما نهى الرجل عن التشبه بها، وقال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء[٥٢]»، كما قال: «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء[٥٣]» كذلك كرم الاسلام المرأة فامر

بالاحسان اليها كأم، قال تعالى: «ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير[٥٤]».

لقد كانت الشعوب القديمة كقدامى المصريين والسومريين والهنود واليونانيين والرومانيين واليهود تنظر الى المرأة نظرة استخفاف فحرمت من حقوقها العامة والخاصة بل جردت من انسانيتها واعتبرها بعضهم شيطانا او روحا نجسة تمنع من الضحك والكلام ولا تصلح الا للمتعة الجسدية، كما كانت اوروبا في بعض القرون وبخاصة في القرن الثالث عشر تنظر اليها نظرة دونية وبالاضافة الى ما ذكر اعتبرتها قاصرة غير مكتملة الاهلية وافقدتها اسم اسرتها بعد الزواج لتحمل اسم زوجها فقط وقد حرمها القانون الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤ من حقوقها المالية واقام الزوج وصياً عليها كما حرمت من حق الانتخاب ولم يسمح لها بذلك الا في مطلع القرن العشرين.

نعم ان اوروبا حررت المرأة بعد ذلك ولكن ليتها لم تحررها من الاسرة، ومن الروابط العائلية التي تشد افراد العائلة بعضهم الى بعض، لقد حررتها واطلقت لها عنان الغرائز الجنسية فكان هذا الفلتان الخلقي سببا للتفكك الاجتماعي الذي تشكو منه اوروبا والذي يحمل بذور تمزقها وانهيارها.

الزواج

سنة الله في خلقه ان يتزاوج الناس لاستمرار الحياة البشرية واعمار الارض وقد شاء الله ان يربط هذا الزواج بعقد شرعي صحيح، هو بمثابة عقد شراكة بين الزوجين يصبح كل منهما بموجبه مسؤولا عن الاخر وبيًّنت الشريعة شروطه واحكامه صحة، وفسادا، وبطلانا، والمهر معجلا ومؤجلا كله او بعضه ومهر المثل في حال عدم التسمية، والزيادة فيه، والحط منه، والحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، والنتائج التي تنتج عن هذا الزواج من اولاد وسوى ذلك، كما بينت المحرمات من النساء حرمة مؤبدة وحرمة مؤقته ونظمت امور الزواج على قواعد صحيحة بعد ان كانت المرأة في الجاهليه متاعاً يُقْتنى لقضاء الشهوة، يكدسها العربي في بيته بالعشرات، بل كانت المرأة تكدس الرجال بالعشرات وعندما تضع ولدا تنسبه الى من شاءت منهم فيلتزم به. وكان الرجل يستحي عند ابلاغه بان زوجته وضعت بنتاً ويخشى ان تجلب له العار فيدفنها حيةً اتقاء لشر متوهم، وفي ذلك يقول الله تعالى «واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهوكظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون(٥٥)» الى ان جاء الاسلام فصحح المفاهيم كما بينا واعاد للمرأة اهليتها قال تعالى «ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون». واذا كانت المرأة مخلوقة من نفس الرجل فاين الفرق المزعوم بينهما؟

فبالله ايها القارئ الكريم لو اجتمع مفكرو العالم وادباؤه وفلاسفته ليصفوا العلاقة بين الرجل والمرأة كما وصفها الله فهل يستطيعون؟ فالله سبحانه يقول «ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم» اي من معجزاته ونعمه عليكم ان خلق المرأة من نفس الرجل وفي ذلك اشارتان:

اولا= الى خلق حواء من ضلع ادم.

ثانيا = الى ان مجموع ما في نفس الزوجين من صفات اودعها الله فيهما كالكرم والبخل، والغضب والحلم والجبن والشجاعة، وما الى ذلك هي التي تؤدي الى تفاهم الزوجين اذا تطابقت او الى تنافرهما اذا تباينت.

هذا بالاضافة الى ان الرجل يسكن الى المرأة فيرتاح بعد التعب ويسعد بعد الشقاء، ويفضي اليها بمشاكله التي يواجهها في حياته اليوميه وفي عمله فتخفف عنه وتعينه على حلها وتقف معه في مواجهتها وتقاسمه سراءه وضراءه كما انه يسكن اليها بمعنى انه لا يذهب الى غيرها بسبب الحب الذي جعله الله بينهما.

تعدد الزوجات

اباح الاسلام للرجل ان يتزوج باربع نساء اباحة مشروطة بالعدل فقال تعالى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة[٥٦]».

هذا التعدد كان موضع نقد من غير المسلمين سنرد عليه في باب ((طعون وردود)) غير انه لا بد من القول بان التشريع الاسلامي حينما اجاز للرجل ذلك فانه استند الى نقطة مهمة وهي كونه تشريعا لكل الناس باعتباره آخر رسالة سماوية فلا ينبغي ولا يجوز ان يكون فيه ثغرات يحتاج معها الى تعديل او تبديل او مخالفة في التطبيق، بالاضافة الى انه عالج ما حوله وفي بيئته من فوضى التعدد حيث كان العرب يتزوجون ما شاءوا من النساء دون حد، وقد اخرج مالك في الموطأ والنسائي والدار قطني في سننهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكثير من العرب الذين اسلموا ولهم عشر نسوة «اختر منهن اربعا وطلق اربعا»، كما ان هذه الاباحه تعتبر رخصة لحالات العقم، والحرب، والشبق الجنسي عند بعض الرجال لذلك قيد هذا التشريع بالعدل، وقد فسر بعضهم انه العدل في المحبة والجماع والعشرة والقسم، وأقول: انه العدل في المعاملة حتى لا يثير غيرة احداهن من الاخرى فان تحقق ذلك جاز، وان لم يتحقق فالواجب الالتزام بواحدة (كي لا تعولوا) أي كي لا تظلموهن او كي لا تكثر عيالكم، وسنكمل هذا البحث في باب (طعون وردود) كما قلنا ان شاء الله.

وقد عاقبت الشريعة الزناة (المحصنين) اي المتزوجين بالقتل والموت والعزّاب غير المحصنين بالجلد، وعاقبت كذلك بمثل هذه العقوبة كل عمل منكر يتنافى مع نهجها الخلقي كاللواط واتيان البهائم، ولا يستطيع احد ان يحتج بان هذه العقوبات

شديدة وصارمة طالما ان الشريعة اجازت للرجل ان يتزوج بأربع، ولْننظر كيف عَنف الله قوم لوط على فعلتهم الشنيعة فقال: «**ولوط إذْ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين؟ انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل انتم قوم مسرفون**[٥٧]» فماذا كان العقاب؟ قال تعالى: «وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين[٥٨]».

وقد ابعد هذا التشريع القويم عن اتباعه خطر الامراض والاوبئة والمفاسد الخلقية التي يعاني منها المجتمع الغربي «كالايدز» والامراض الزهرية وغيرها التي يسببها الفلتان الجنسي، بالاضافة الى ما هو اخطر من ذلك تفكك روابط النسب بين العائلات والاسر، وانعدام المحبة والثقة بين الافراد.

اما تلك الاعداد الهائلة من اولاد السفاح، الذين تلتقطهم دور الحضانة في ذلك المجتمع فستكون بداية الانفراط والضياع والانهيار وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول: «اذا اراد الله بقريةٍ هلاكا اظهر فيهم الزنا[٥٩]» وقوله ايضا: اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه[٦٠]»، «واذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد احلوا بانفسهم عذاب الله[٦١]» وقال: اعرفوا انسابكم تصلوا ارحامكم، فانه لا قرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة، ولا بعد بها اذا وصلت وان كانت بعيدة[٦٢].

لقد ابطل الاسلام طرق الزواج غير المشروعه التي كانت شائعة في الجاهلية، كما ابطل التبني والحاق الاولاد عن طريق الفاحشة حيث كانت المرأة كما ذكرنا تتزوج باكثر من واحد وعندما تضع مولودها تختار من بينهم أباً له قال تعالى: وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل [٦٣]» وقال ايضا: «ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله[٦٤]».

ولما كانت للزواج ثماره ونتائجه وهي الاولاد فقد شرع الاسلام احكام النسب واحتاط لصيانته وعدم التداخل فيه ووضع عقوبات قاسيةً على من يتعدى على حرمة الازواج وتشدد في نفي النسب بوضع شروط صعبة مع نصحه بان لا يفعل

ذلك، قال رسول الله صلى عليه وسلم: «ايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه (اي يعلم انه ولده) احتجب الله منه يوم القيامه وفضحه على رؤوس الاولين والاخرين يوم القيامة»، كما حذر المرأة من ادخال من تعلم انه ليس من زوجها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ايما امرأة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها جنته[٦٥]».

وسنرد على منتقدي التعدد في باب خاص من هذا الكتاب.

شبكة القربى المحكَمَة

وبالنتيجة، فاننا نقدم للقارئ الشبكة العائلية المحكمة التي ربط الاسلام بها الانسان سواء اكان ابا او ابنا او اخا او عما او خالا او اما او زوجة او بنتا او اختا او خالة، ونسوق على ذلك بعض الامثلة على سبيل المثال لا الحصر:

في الآباء: قال تعالى: «**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحساناً، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**[٦٦]».

فهل تجد كلاما جامعا للقيم الانسانية كلها اروع من هذا الكلام؟ وهل جاءت شريعة سماوية او ارضية بمثل هذا؟

لقد قرن الله سبحانه عبادته بالاحسان الى الوالدين فكان الاحسان اليهما جزءا من عبادة الله ونهى عن توجيه ما يشتم منه التذمر او الضجر منهما باصغر كلمة وجدت في قاموس التذمر(اف) وامرته بالخضوع لهما خضوع رحمة وشفقة لا خضوع ذل لقوة او سلطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بروا اباءكم تبركم ابناؤكم[٦٧]».

في الابناء:

قال تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا[٦٨]»، وقال سبحانه يوصي بالولد وهو جنين: «ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم[٦٩]»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه[٧٠]»

وقال: «اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم[٧١]» وقال: «ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء[٧٢]».

في الاخوة:

قال تعالى: «سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا[٧٣]» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مولى الرجل اخوه وابن عمه[٧٤]».

في الاعمام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العباس عمي وصنو ابي وان عم الرجل صنو ابيه[٧٥]».

في الاخوال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والخال وارث من لاوارث له[٧٦]».

في الزوجات:

قال تعالى: «ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمه»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لنسائه وبناته[٧٧]».

الامهات:

قال تعالى: «ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير[٧٨]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة تحت اقدام الامهات[٧٩]».

في البنات:

قال تعالى: «في معرض الدفاع عن البنات: واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى اخر الايات، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات[٨٠]».

في الاخوات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وابدأ بمن تعول امك واباك واختك،

واخاك وادناك فادناك[٨١]»، وقال ايضا: من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتّقى الله فيهن فله الجنة [٨٢]».

في الخالات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخالة والدة[٨٣]»، وقال ايضا «ان الله يوصيكم بالنساء خيرا فانهن امهاتكم وبناتكم وخالاتكم[٨٤]».

فانظر رعاك الله هذه الشبكه العائلية المحكمة التي ربط الاسلام بها الناس بعضهم ببعض، والايات والأحاديث التي ذكرناها ان هي الا امثلة على سبيل المثال لا الحصر وهي غيض من فيض يتم بموجبها توثيق الاواصر والمحبة بين الافراد والجماعات.

الطلاق

من البديهي القول بان الاسلام حريص على استمرار الزوجية وبقائها لتؤتي ثمارها التي ارادها الله لاعمارِ الكون بالتناسل ولكنه منح اتباعه رخصة لفك رباط هذه الزوجية بالطلاق في حالة تعذر استمرارها وبين لهم طرق استعمالها فقال تعالى: « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان[٨٥]»، وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ارأيت قوله تعالى: «الطلاق مرتان فاين الثالثه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «فامساك بمعروف او تسريح باحسان[٨٦]».

هذه المرات الثلاث تسبقها اجراءات تحذيرية للحيلوله دون وقوع الطلاق الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: «ابغض الحلال إلى الله الطلاق[٨٧]» هذه الاجراءات اوضحها الله لنا بقوله: واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا ان الله كان عليا كبيرا، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق بينهما[٨٨] فالمطلوب اذا في حال وقوع النشوز والعصيان من الزوجه ما يلي:

اولا=وعظها وارشادها وتنبيهها الى ما يمكن ان يؤدي اليه عصيانها ونشوزها من تفريق للاسرة وهدم للبيت الزوجي.

ثانيا = هجرها في المضجع فان كانت محبة وفية للزوج عادت عن سلوكها الشاذ الى حسن المعاشره.

ثالثا = ضربها ضربا غير مبرح لا يترك اثرا للكدمات كضرب الوالد ولده للتأديب وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يكون ذلك بقوله: اتقوا الله في النساء فانكم اخدتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فإنْ فعلْنَ فاضربوهن ضربا غير مبرح[٨٩] اي لا يدخلن منازلكم احدا تكرهونه من الاقارب والنساء الاجانب ويؤكد هذا ما رواه الترمذي وصححه عن عمرو بن الاحوص انه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فقال: «الا استوصوا بالنساء حيرا فانهن عوان عندكم (اي بمنزلة الاسرى) لا تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، الا ان لكم على نساءكم حقا، ولنساءكم عليكم حقا، فاما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم من تكرهون، الا وحقهنَّ عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن» قال: هذا حديث حسن صحيح فقوله (بفاحشةٍ مبينة) لا يريد به الزنا فان ذلك محرم ويلزم عليه الحد ولكن يريد ان لا يدخلنَ من يكرهه ازواجهن و لايغضبهم[٩٠]».

وقد سئل ابن عباس ما الضرب غير المبرح؟ فقال: الضرب بالسواك ونحوه.

رابعاً ـ التحكيم بين الزوجين بان يعين القاضي حكما من اهل الزوجه وحكما من اهل الزوج فان لم يوجد من اهلهما من يصلح للتحكيم اختار القاضي حكمين من اهل العلم والصلاح يطلعان بدقة على اسباب الشقاق واقوال الطرفين في مجلس يدعيان اليه ويسعيان لاصلاح ذات بينهما ويبدلان الجهد من اجل ذلك فان لم يوفقا اقترحا على ضوء ثبوت الاساءة على اي من الزوجين التفريق بينهما (وهذا ما جرت عليه المحاكم الشرعيه في لبنان).

خامساً ـ ان يكون الطلاق في حالة طهر الزوجة الذي لم يَقْربْها فيه الزوج و

لافي الحيضة التي قبله لان الطلاق في الحيض بدعة فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض فبلغ ذلك رسول الله فقال له يا ابن عمر ما هكذا امرك الله وقد اخطأت السنة، السنة أن تستقبل الطهر، وفي هذا اشارة الى قوله تعالى: «يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» اي مستقبلات للعدة بان تكون الزوجة في طهر لا مساس فيه ويستثنى من هذا المرأة غير المدخول بها والحامل والمرأة التي تصر على الطلاق.

اجل هذا هو الطلاق وقيوده الصعبة ولقد ذهب كثير من العلماء الى ان الاصل في الطلاق هو المنع وعدم الاباحة الا لحاجة ككبر وريبة[٩١] وللاسباب التي عددناها وذلك لقوله تعالى: فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، اي لا تجنوا عليهنّ قولاً ولا فعلاً، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ابغض الحلال الى الله الطلاق»، والخروج عن هذا المعنى بايقاع الطلاق دون سبب يعتبر ظلماً وتعسفاً ينبغي منعه، والزام المطلق بالتعويض على المرأة بما يتناسب وظلمه لها.

التركة والميراث

شرع الاسلام في تركة المتوفى احكاما تعرف بعلم الميراث وهو علم يتصل باصول من فقه وحساب تعرف حق كل وارث من التركة وجعل اسباب الوراثه ثلاثة:

اولا = الزوجية الصحيحة ولو بلا وطء او خلوة.

ثانيا = النسب والقرابة.

ثالثا = الولاء وهو يتعلق بالعبيد والارقاء والعمل بموجبه موقوف ويطبق في حال وجودهم.

اما النسب والقرابة فيدخل فيه ثلاثة انواع:

اولا = ذوو الفروض.

ثانيا = العصبات.

ثالثا = ذوو الارحام.

وهناك حقوق متعلقه بالتركة أوضحتها الشريعة اذ ان التركة لا يخلو حالها من احد امرين:

الاول = تعلق حق الغير بها كما اذا كان فيها شيء مرهون حال حياة المورث، فان المرتهن أحق باستيفاء دينه اولا وقبل كل شيء.

الثاني = عدم تعلق حق احد بها وعند ذلك تراعى الامور التالية:

اولا = تجهيز الميت.

ثانيا = قضاء دينه قبل توزيع التركه على الورثه.

ثالثا = تنفيذ وصية المتوفى من ثلث ما بقي بعد التجهيز وقضاء الدين.

رابعا = اعطاء كل ذي حق حقه من التركة للمستحقين من الورثه وهم:

اولا اصحاب الفروض وعددهم اثنا عشر اربعة من الذكور: الاب، الجد الصحيح وان علا، والاخ لام، والزوج.

وثمانية من الاناث: البنت، بنت الابن، وان نزل ابوها، والام، والجدة. الصحيحة (ام الاب) والاخت الشقيقة، والاخت لاب، والاخت لام، والزوجة.

ثانيا = العاصب بنفسه من النسب وياخذ ما بقي من التركة بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم او ياخذ الكل عند عدم اصحاب الفروض وهو ينحصر في اربعة: البنوة، الابوة، الاخوة، العمومة.

فالبنوة تشمل الابن، وابن الابن وان سفل، والابوة تشمل الاب، والجد الصحيح وان علا، والاخوة تشمل الاخ الشقيق، والاخ لاب، وابن الاخ الشقيق، وابن الاخ لاب وان نزل كل منهما.

والعمومة تشمل العم الشقيق، والعم الاب، وابن العم الشقيق، وابن العم لاب وان نزل كل منهما.

ثالثا = العصبة السببية وهي المعتق سواء اكان ذكرا او انثى.

رابعا = عصبة العاصب السببي وتتعلق ببنوة المعتق وابوته واخوته وعمومته.

خامسا = ذوو الرد فيرد على ذوي الفروض النسبية والرد عليهم لا يكون الا عند عدم وجود العصبات سواء اكانت نسبية او سببية اذ لو وجد عاصب مطلقا اخذ الباقي عن اصحاب الفرائض.

سادسا = ذوو الارحام وهم الذين لهم قرابة للميت وليسوا بعصبة ولا ذوي فروض كابن البنت وأبي الام، وابن الاخت وسواهم.

سابعا = المقر له بالنسب بعد جهالة نسبه.

ثامنا = الموصى له بما زاد على الثلث فلا يستحق الزائد سواء اكان الكل أولا الا اذا لم يوجد احد ممن تقدم، او وجد ولكن لا يستحق كل التركة كاحد الزوجين فانه لا يستحق الا فرضه.

تاسعا = بيت مال المسلمين وهو اليوم صندوق الزكاة او الاوقاف الاسلاميه وقد قضت المادة ٣٧٤ من قانون تنظيم المحاكم الشرعية اللبنانية بتسليم اموال المتوفى الذي ليس له وارث بعد مضي خمس سنوات على وفاته الى الاوقاف الاسلامية بموجب قرار يتخذه القاضي في غرفة المذاكرة.

وهكذا نرى ان الشريعة الاسلامية هدفت في تقسيم تركة المتوفًى الى تعميم الفائدة على اكبر عدد من الناس الذين يمتون للمتوفي بقربى من الاصول او الفروع او الحواشي. او الموصى لهم، كل ذلك لاسعاد الانسان واعانته على مواجهة اعباء الحياة.

موقف الاسلام من الجماعة

لم تكن عناية الاسلام واهتمامه بالجماعة بأقل من عنايته واهتمامه بالفرد لان الجماعة هي تنظيم عقد مؤلف من الافراد الذين هذبهم الاسلام ونشأهم تنشئة اسلامية ثم ضمهم الى هذا العقد.

خص الله سبحانه الجماعة في كتابه الكريم بكثير من الرعاية فقال تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا[٩٢]»، وقال تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم[٩٣]»، وقال تعالى: «ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون[٩٤]»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يد الله على الجماعة[٩٥]»، وقال ايضا: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٩٦]».

وقد ورد في هذا المضمار آيات قرآنية واحاديث نبوية كثيرة يضيق المجال عن سردها.

ثم هذب الاسلام الجماعة وصقل روحها بالعبادات اليومية والاسبوعية والسنوية:

١ ـ الصلاة اليومية خمس مرات في اليوم والليلة وهي جماعة افضل من الصلاة الافرادية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (اي الفرد) بسبع وعشرين درجة(٩٧).

٢ ـ صلاة الجمعة الاسبوعية: قال تعالى: «يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع(٩٨)».

٣ ـ الحج الى بيت الله الحرام مرة واحدة في العمر على المسلم المكلف المستطيع قال تعالى / «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا(٩٩)».

وجعل الاسلام مسؤولية الفرد عن الجماعة والجماعة عن الفرد اساسا للتكافل والتضامن بين المسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلكم مسؤول وكلكم مسؤول عن رعيته.. الى اخر الحديث، وضرب مثلا رائعا لمسؤولية الجماعة تجاه الفرد فقال: ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا، فصار لكل منهم موضع فنقر منهم رجل موضعه بفأس فقالوا له: ما تصنع؟ قال: هو مكاني اصنع فيه ما أشاء فان اخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا».

كما ارسى الاسلام الاخوة بين المسلمين وامر بالمصالحة بين المتخاصمين منهم على قواعد ثابته من العدل والمساواة والخلق الكريم. قال تعالى: «انما المؤمنون اخوة، فاصلحوا بين اخويكم(١٠٠)» وقال تعالى: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى قوله تعالى: فان فاءتْ فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين(١٠١)».

ان اروع مثل عملي قدمه الاسلام هو تضامن المهاجرين والانصار وتقاسمهم

الرزق والعمل في المدينة المنورة فقد ترك المهاجرون مكة وتركوا فيها ما يملكون من اموال وحطام وسوام فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وجعل لهذا الاخاء حكم اخاء الدم والنسب وكان هذا التضامن بين جماعة المسلمين اول مدماك في بناء الدولة الاسلامية.

هوامش

١ـ النساء: ١

٢ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جزء ١ص٤.

٣ـ سورة محمد: ٢٢ـ٢٣.

٤ـ الاسراء: ٢٣

٥ـ البقرة: ٨٣.

٦ـ الحجرات: ١٣

٧ـ عن انس اخرجه ابو ليلى والبزار وعن ابن مسعود اخرجه الطبراني الجامع الصغير ج ١ ص ٦٣٧.

٨ـ البقره / : ٢٨٥.

٩ـ عن عائشة رواه الديلمي الجامع الصغير ج ١ ص ٩٣٧.

١٠ـ البقره/ : ١٣٧.

١١ـ البقرة: ٣٠.

١٢ـ احكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٣٩٢.

١٣ـ لقمان: ٢٠.

١٤ـ الاسراء: ٧٠.

١٥ـ حديث صحيح متفق عليه (الجامع الصغير) جـ ١ ص ٥٠.

١٦ ـ ورد في تكمله فتح القدير ٦حـ ص٢٧٢ كما ورد في ابن عابدين جـ ٤ ص٢٩٠ باب دعوى النسب.

١٧ ـ آل عمران: ١٠٤.

١٨ ـ حديث صحيح متفق عليه.

١٩ ـ حديث صحيح متفق عليه.

٢٠ ـ البقرة: ٢٥٦.

٢١ ـ يونس: ٩٩.

٢٢ ـ الغاشية: ٢٢.

٢٢ ـ الشورى: ٤٨.

٢٤ ـ المائدة: ١٠٤.

٢٥ ـ التوبة: ١٠٥

٢٦ ـ عن المقدام رواه البخاري واحمد

٢٧ ـ عن ابن عمر (الجامع الصغير) ١٨٧٣.

٢٨ ـ حديث صحيح رواه مسلم.

٢٩ ـ الجمعه: ١٠.

٣٠ ـ النور: ٢٧ـ٢٨.

٣١ ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ ١٢ ص ٢١٥.

٣٢ ـ النور/ ٢٩.

٣٣ ـ سورة المعارج: ٢٥.

٣٤ ـ هود: ٦.

٣٥ ـ حديث صحيح عن ابن عمرو رواه ابو داود والترمذي ـ الجامع الصغير جـ ٢ص٢٨٩.

٣٦ ـ عن عائشة رواه الحاكم وتتمة اوله: فان جارت عليهم جائره فلا تخفروها فان لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ـ الجامع الصغير ج ١ ص ٦٦٥.

٣٧ ـ الزمر: ٩.

٣٨ ـ عن انس رواه ابن عبد البر.

٣٩ ـ عن انس رواه ابن النجار ـ الجامع الصغير ٥٧٠٥.

٤٠ ـ الزخرف: ٣٢.

٤١ ـ الفرقان: ٦٧.

٤٢ ـ الكهف/ ٤٦.

٤٣ ـ العقد الفريد، جـ ٢ ص ٣٤٥.

٤٤ ـ البقره / ١٩٥.

٤٥ ـ النساء: ٢٩ ـ ٣٠.

٤٦ ـ حديث صحيح متفق عليه.

٤٧ ـ حديث صحيح رواه البخاري.

٤٨ ـ المؤمنون = ١٢ ـ ١٤.

٤٩ ـ الجمعه: ٢.

٥٠ ـ الروم: ٢١.

٥١ ـ عن انس رضي الله عنه اخرجه البزار وعن عائشة رضى الله عنها اخرجه احمد وابو داوود والترمذي.

٥٢ ـ عن ابن عباس رواه احمد وابو داوود والترمذي حديث صحيح.

٥٣ ـ عن ابن عباس رواه البخاري في الادب.

٥٤ ـ لقمان/ ١٤.

٥٥ ـ النحل/ ٥٨ ـ ٥٩ .

٥٦ ـ النساء: ٣ .

٥٧ ـ الاعراف: ٨٠ ـ ٨١.

٥٨ ـ الاعراف: ٨٤.

٥٩ ـ عن ابي هريرة اخرجه الديلمي (الجامع الصغير)٤٠٢ حديث ضعيف.

٦٠ ـ عن ابي هريرة اخرجه داوود والحاكم (الجامع الصغير) ٦٦٠.

٦١ ـ عن ابن عباس اخرجه الطبراني والحاكم (الجامع الصغير) ٧٤٢.

٦٢ ـ الطيالسي للحاكم عن ابن عباس (الجامع الصغير) ١١٥٤.

٦٣ ـ الاحزاب: ٤١ .

٦٤ ـ الاحزاب: ٥ .

٦٥ ـ عن ابي هريره رواه ابو داوود والنسائي وابن ماجه وابن حبان حديث صحيح (الجامع الصغير) ٦٦٠.

٦٦ ـ الاسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

٦٧ ـ عن ابن عمر رواه الطبراني (الجامع الصغير) ٣١٣٨ .

٦٨ ـ الكهف: ٤٦ .

٦٩ ـ الاسراء: ٣١.

٧٠ ـ عن ابن عباس رواه ابو الشيخ.

٧١ ـ عن النعمان بن مشير (متفق عليه).

٧٢ ـ عن ابن عباس رواه الطبراني والخطيب وابن عساكر (ضعيف).

٧٣ ـ القصص: ٣٥ .

٧٤ ـ عن سهل بن جنت رواه الطبراني.

٧٥ ـ عن ابي هريرة رواه الترمذي (حديث حسن).

٧٦ ـ عن عمر رضي الله عنه رواه الترمذي وابن ماجه حديث حسن.

٧٧ ـ عن ابي هريره رواه البيهقي.

٧٨ ـ لقمان: ١٤.

٧٩ ـ عن انس رواه القضاعي والخطيب (حديث حسن).

٨٠ ـ عن عقبة بن عامر رواه احمد والطبراني.

٨١ ـ عن ابن مسعود ـ متفق عليه ـ

٨٢ ـ عن ابي سعيد الخدري رواه الترمذي وابو داوود.

٨٣ ـ عن ابن سعد عن محمد بن علي مرسلا.

٨٤ ـ عن المقدام رواه الطبراني (حديث حسن).

٨٥ ـ البقرة: ٢٢٩.

٨٦ ـ رواه الثوري وابو معاويه عن اسماعيل بن سجيع عن ابي رزين.

٨٧ ـ عن ابن عمر رواه ابن داود وابن ماجه.

٨٨ ـ النساء: ٣٤ ـ ٣٥.

٨٩ ـ رواه مسلم من حديث جابر الطويل عن الحج.

٩٠ ـ احكام القرآن للقرطبي جـ٥ ص ١٧٣ دار الكاتب العربي مصر ١٩٦٧.

٩١ ـ فتح القدير جـ٣ص٢٢.

٩٢ ـ آل عمران: ٣.

٩٣ ـ : الانفال: ٤٦.

٩٤ ـ الانبياء: ٩٢.

٩٥ ـ عن ابن عباس رواه الترمذي.

٩٦ ـ عن النعمان بن بشير رواه احمد ومسلم حديث صحيح.

٩٧ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما حديث صحيح (متفق عليه).

٩٨ ـ الجمعه: ٩.

٩٩ ـ آل عمران: ٩٧.

١٠٠ ـ الحجرات: ١٠.

١٠١ ـ الحجرات: ٩.

الفصل الثالث

نظام الحكم في الاسلام

كان الحكم الاسلامي في صدر الاسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شوريا (ديموقراطيا) قائما على اساس من العدل والمساواة والشورى وقد استمر كذلك طيلة عهود الخلفاء الراشدين، وذلك عملا بقوله تعالى: «وشاورهم في الامر» ولقوله صلى الله عليه وسلم: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار[1]».

ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ان يوصي لاحدهم بخلافته وان كان المسلمون قد فهموا تقديم ابي بكر للصلاة نيابة عنه في مرض موته كقرينة على ذلك، الا انه لم يوص قولا ولا كتابة، ويوم وفاته بايع المسلمون أبا بكر خليفة للمسلمين.

اعلن ابو بكر في اليوم التالي سياسته التي سينتجها في خطاب هو اشبه ما يكون ببيان الحكومات في هذا العصر. فقال: «ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان احسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني، الصدق امانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله، لايدع قوم الجهاد في سبيل الله الا قوم ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في يوم قط الا عمهم الله بالبلاء، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فيكم، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

نلاحظ في هذا الخطاب البليغ الموجز ان ابا بكر رضي الله عنه رسم الخطوط للمشاكل والقضايا التي سيعالجها اثناء حكمه وهي:

اولا = اشعار الرعية بان الحاكم واحد منها وفي هذا تكريس لمبدأ المساواة، وارساء الثقة بين الحاكم والمحكوم.

ثانيا = تكريس مبدأ المشاركة والشورى.

ثالثا = تكريس مبدأ الصدق في القول والعمل بين الحاكم والمحكوم بحيث تتوجب المصارحة بصدق بينهما فيصدق الحاكم محكوميه ولا يخون امانة الحكم، ويصدق المحكوم حاكمه فان احسن قال له أحسنت وإن أساء نبهه وحذره من التمادي في الاساءة.

رابعا = تكريس حق الفرد والجماعة ونصفة المظلوم من الظالم.

خامسا = تقرير واجب الجهاد في سبيل الله.

سادسا = محاربة الفساد والانحراف الخلقي.

سابعا = ربط طاعة الحاكم بطاعة الله وفي هذا ضمان لحقوق الرعية.

وهكذا تعاقب الخلفاء وكان النهج واحدا والمسيره واحدة وفي عهد عمر رضي الله عنه فتحت بلاد فارس وفلسطين والشام ومصر واتسعت رقعة الدولة الاسلامية على حساب الدولتين الفارسية والبيزنطية وفي عهده ايضا بدأ تطوير الانظمة ووضع القوانين وانشاء الدواوين وبدأ تكوين الانظمة التالية:

١ ـ النظام السياسي.

٢ ـ النظام الاداري.

٣ ـ النظام المالي.

٤ ـ النظام الحربي.

٥ ـ النظام القضائي.

٦ ـ النظام البحري.

على انني استطيع ان اتوج هذه النظم بنظام الاسلام العقائدي الذي هو المدخل الى الاسلام، فرضه الله على كل مسلم وهدف منه الى تنشئته تنشئة اسلامية صالحة بحيث يلتزم بالمعروف وهو كل ما يفيد الانسان في دنياه وآخرته ويجتنب المنكر وهو كل ما يضر الانسان في دنياه وآخرته وهو نظام العقيدة:

أولاً ـ ١ ـ **النظام العقائدي**: ويتمثل هذا النظام في اركان الاسلام الخمسه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الاسلام على خمس: شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان[٢].

.هذا النظام الذي يؤمن به المسلم ليس بحاجة الى تطوير ولا الى اعادة نظر، وذلك لربطه بوحي الله وهو ما تفرد به الاسلام وحق لنا ان نفاخر به الامم والشعوب.

ففي الشهادة بوحدانية الله: توحيد لصفوفنا وتحرير لنا من كل عبودية إلاّ لله.

وفي الصلاة: ارتباط لنا غير منقطع بالله.

وفي الزكاة: تطهير لانفسنا من البخل والشح وحب الدنيا، وتنمية لاموالنا التي يباركها الله.

وفي الصيام: تدريب لنا على قهر النفس الامارة بالسوء.

وفي الحج: هجرة سنوية لنا نجدد فيها العهد مع الله.

ثانيا = **النظام السياسي** = يتمثل في الاسلام بالخلافة، والخليفة لقب يطلق على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنفيذ اوامر الله واحكامه، وكان يطلق عليه الامام، وامير المؤمنين، وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله ولكن بعض العلماء اجاز ذلك على ضوء قوله تعالى: «اني جاعل في الارض خليفة[٣] وقوله تعالى: «وهو الذي جعلكم خلائف في الارض[٤]».

اما الخلافة اصطلاحا فهي رئاسة عامة في امور الدين والدنيا نيابة عن النبي

صلى الله عليه وسلم: يقول ابن خلدون في ذلك: الخلافة هي حَمْلُ الكافَّةِ على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية والاخروية خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا(٥).

ويشترط في الخليفة كما ذكر الماوردي في احكامه السلطانية اربعة شروط = العدالة والعلم، الكفاية، سلامة الحواس والاعضاء بما يؤثر في الرأي والعمل.

والخلافة تكون اختيارية وقد تكون قهرية، فالاختيارية هي التي تكون نتيجة انتخاب الأمة، والقهرية هي التي ينالها صاحبها بالغلبة والقوة ويرى الفقهاء انعقادها والزام المسلمين بالطاعة والهدف من ذلك وحدة الامة وعدم تمزقها واختلاف كلمتها.

ويندرج تحت هذا النظام: الوزارة، والكتاب، والحجاب، وموظفو الدولة.

ثالثاً النظام الاداري:

وهو يتناول ادارة الدولة والاقاليم التابعة لها والعمال والولاة ودواوين الدولة: كديوان الخراج والرسائل والايرادات والنفقات والخاتم، وهو ما يشبه (الارشيف) او السجلات في ايامنا والبريد والشرطة وغيرها.

رابعاً النظام المالي:

لما كان المال عصب الحياة وبدونه لا تقوم الدول فلا بد اذاً من تنظيمه كواردات ونفقات وتعيين الجباة لجمعه وتحصيله وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزع على المسلمين ولا يبقى منه شيء لقلته وكذلك كان في عهد ابي بكر رضي الله عنه، الا انه خصص له مكانا في داره ولما توفي امر الخليفة عمر رضي الله عنه بفتح بيت المال بحضور الامناء عليه فلم يجد الا دينارا واحدا حيث كان ينفق على مصالح المسلمين، وقد خصص عمر بيتا للمال بعد الفتوحات التي اتسعت في عهده وانشأ الدواوين ووظف الكتاب، وجند الجيوش، وصنع الاسلحة، وفرض الاعطيات وكان هذا هو (بيت مال المسلمين) وكان يشرف عليه «امين بيت المال» وهو

كوزير المال في ايامنا. وبهذا كان عمر رضي الله عنه اول من انشأ الدواوين من العرب في الاسلام كما كان اول من انشأ العسس وهم الحراس الليليون ثم في عهد علي رضي الله عنه زاد في تنظيمهم ودعوا باسم الشرطة ورئيسهم صاحب الشرطة.

ويروى ان السبب في انشاء الدواوين ان ابا هريره رضي الله عنه قدم من البحرين وكان واليا عليها فلقي عمر فقال له: ماذا جئت به؟ قال خمسماية الف درهم فقال عمر: أتدري ما تقول؟ قال: نعم، مئة الف درهم، ومئة الف درهم، ومئة الف درهم، ومئة الف درهم، ومئة الف درهم، وقال عمر: اطيب هو؟ (يعني احلال هو) قال: لا أدري فصعد عمر المنبر وخطب الناس فقال: ايها الناس جاءنا مال كثير فان شئتم كلناه كيلا، وان شئتم نعده عدا فقام رجل وقال: يا امير المؤمنين قد رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديوانا لهم فقال عمر: دونوا الدواوين فكانت الدواوين التالية:

- ديوان الفيء والخراج.
- ديوان الملكية العامة.
- ديوان الموازنة العامة.
- ديوان مصالح الدولة.
- ديوان الصدقات.
- ديوان الجهاد.

روافد بيت المال

اهم موارد بيت المال هي:

١ ـ الفيء والغنائم.

٢ ـ الخراج.

٣ ـ العشور.

٤ ـ الجزية.

٥ ـ اموال الغلول.

٦ ـ مال من لا وارث له.

٧ ـ مال المرتد.

٨ ـ الركاز والمعادن.

٩ ـ الزكاة.

١ ـ الفيء والغنائم

الفيء هو ما استولى عليه المسلمون عفواً من غير قتال لقوله تعالى: «وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل و لاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير[٦].

وهذه الآية تعني ان ما اخذ من الكفار بدون ركوب خيل ولا سفر ولا قتال، فهو لرسول الله يأخذ منه قدر حاجته وينفق الباقي في مصالح المسلمين، واما قوله تعالى في الآية التي تليها: ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب[٧].

وهذا يعني ما اخذ من الكفار بالقتال حكمه حكم الغنيمة وفيه الخمس، قال ابن عباس رضي الله عنه: الانفال والغنائم شيء واحد. وقال الله سبحانه: «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكن وابن السبيل[٨]».

والغنائم تعني ما اخذ من الكفار بالقتال وقد ترك الامر للامام وما يراه من مصلحة ونفع للمسلمين فان رأى المصلحة في توزيع ما بقي عن الخمس وزعه والا وضعه في بيت مال المسلمين.

٢ ـ الخراج

فصَّل الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية موضوع الخراج فقال: فاما الخراج فهو ما وضع على رقاب الارض من حقوق تُؤدَّى عنها وفيه من قبل الكتاب بينة تخالف نص الجزية فلذلك كان موقوفا على اجتهاد الائمة، وقال في موضع اخر في كتابه: «والارض كلها تنقسم الى اربعة اقسام:

١ ـ ما احياه المسلمون من موات الارض فهي ارض عشر ليس عليها خراج.

٢ ـ ما اسلم عليها اهلها بدون حرب فهم احق به فتكون على مذهب الشافعي ارض عشر ولا يلحقها خراج وقال ابو حنيفه: الامام مخير بين ان يجعلها خراجا او عشرا فان جعلها خراجا لم يجز ان تنتقل الى العشر وان جعلها عشرا جاز ان تنقل الى الخراج.

٣ ـ ما ملك من المشركين عنوة وقهرا فيكون على مذهب الشافعي غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون العشر من غلتها.

٤ ـ ما صولح عليه المشركون من ارضهم فهي الارض المختصة بوضع الخراج عليها وهي على قسمين:

١ ـ ما خلا عنها اهلها فحصلت للمسلمين بغير قتال فتصير وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج ويكون اجرة تقر على الابد وان لم يقدر بمدة لما فيها من عموم المصلحه ولا تتغير باسلام ولا ذمة ولا يجوز بيع رقابها اعتبارا بحكم الوقوف.

٢ ـ ما اقام فيه اهله وصولحوا على اقراره في ايديهم بخراج يضرب عليهم فهذا على ضربين احدهما: أن ينزلوا عن ملكيتها لنا عند صلحنا فتصير وقفاً على المسلمين ويكون الخراج المضروب عليه اجرة لاتسقط باسلامهم ولا يجوز لهم بيع رقابها ويكونون احق بها ما اقاموا على صلحهم ولا تنزع منهم سواء اقاموا على شركهم ام اسلموا.

ثانيهما: ان يستبقوها على املاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها يؤخذ منهم ما اقاموا على شركهم ويسقط باسلامهم ويجوز ان لا يؤخذ منهم جزية رقابهم ويجوز لهم بيع هذه الارض لمن شاؤوا منهم او من المسلمين او من اهل الذمة، فان تبايعوها فيما بينهم كانت على حكمها في الخراج وان بيعت لمسلم سقط عنه خراجها وان بيعت لذمي احتمل عدم السقوط لبقاء كفره واحتمل السقوط بخروجه بالذمة عن عقده من صولح عليها(٩).

٣ ـ العشور

وهي ما يؤخذ من مال وعروض تجارة اهل الذمة واهل الحرب وغيرهم ممن يمرون على ثغور الدولة الاسلامية، ومن التجار المسلمين، ومع ان هناك احاديث نبوية تدل على عدم جواز اخذها من هؤلاء باستثناء تجار دار الحرب فان عمر رضي الله عنه وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم كانوا يأخذون من تجار اهل الذمة نصف العشر، ومن التجار المسلمين ربع العشر، ومن تجار دار الحرب: العشر.

وتؤخذ العشور مرةً في السنة على اموال التجارات كلها عروضاً أو حيوانات أو زروعاً أو ثمارا، وتؤخذ هذه العشور بالنسبة لاهل الذمة والحرب اذا مرت سلعهم

في الثغور الاسلامية، أو من اقليم الى اقليم، ولا تؤخذ على تجارتهم الداخليه الا اذا كان هناك صلح عليها و يسمى الذي يتولى جبايتها (عاشرا) وقد زاد الامام الشافعي هذا التحديد بان ارجع الى الامام زيادة العشر او الانقاص منه اذا رأى في ذلك مصلحة.

٤ ـ الجزية

اما الجزية فهي ضريبة الدفاع عن النفس، يقول الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية: اسم الجزية مشتق من الجزاء فيجب على اولي الامر ان يضعوا الجزية على رقاب اهل الذمة من اهل الكتاب ليستقروا بها في دار الاسلام ويلزم لهم بدفعها حقان: احدهما الكف عنهم، والثاني الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين.

٥ ـ الغلول

وهو المال الذي يأخذه الولاة والعمال وموظفو الدولة بطريق الرشوة او الهبة او الهدية سواء اكان ذلك من اموال الدولة او من اموال الناس وهذا محرم لقوله تعالى: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة[١٠] وعن معاذ ابن جبل قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فلما سرت ارسل في اثري فرددت فقال: أتدري لما بعثت اليك؟ لا تصيبن شيئا بغير اذني فانه غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة لهذا دعوتك فامض الى عملك رواه الترمذي، وروى البخاري ومسلم عن ابي حميد الساعدي قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من بني اسد على الصدقة يقال له (ابن الاتبيّه) فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي الي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال: ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا أهدي الي، فهلا جلس في بيت ابيه وامه فنظر أيُهْدَى له أم لا؟ فوالذي نفس محمد بيده لا ينال احد منكم منها شيئا الا جاء يوم القيامة يحمل على عنقه بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تُيْعرِ ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي ابطيه ثم قال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت.

وبناء على هذا فان كل مال يهدى او يوهب الى العمال والولاة والموظفين بدون مقابل يعتبر رشوة وكسبا حراما يصادر ويوضع في بيت مال المسلمين.

٦ ـ مال من لا وارث له

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وترك مالا فماله لموالي العصبة ومن ترك كلا[١١] او ضياعا فانا وليه فلأ دعى له[١٢] وهذا يعني ان تركة من يتوفى ويترك مالا منقولا او غير منقول وليس له ورثه من ذوي الفروض او العصبات او الحواشي فان تركته تؤول الى النبي ومن بعده الى خليفته او الى الحاكم الاسلامي الذي يضع المال في بيت مال المسلمين.

٧ ـ مال المرتد

من المعلوم ان الشريعة الاسلامية تبيح قتل المرتد عن الاسلام طائعا مختارا لاعتباره كافرا، فمن الاولى ان يباح ماله ويصادر من قبل الخليفة او الحاكم المسلم عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله[١٢]» على ان يؤمر المرتد بالتوبة والاستغفار ويمهل ثلاثة ايام فان لم يتب نفذ بحقه ذلك.

٨ ـ الركاز والمعادن

الركاز ومعناه (المال المدفون في الارض) ويشمل كل ما يقدر بمال من نقود وحلي وجواهر وسلاح وكنوز ومعادن، والاصل فيه ما روي عن عبدالله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المال الذي يوجد في الخرب فقال: فيه وفي الركاز الخمس ولا يشترط فيه مرور الحول.

٩ ـ الزكاة

سميت كذلك لانها تطهير للنفس وانماء للمال قال تعالى: «خذ من اموالهم

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها[١٤]» وتصرف على الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: «انما الصدقات للفقراء والمساكين» الى آخر الآية.

الفقير: هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه.

المسكين: هو الذي لا شيء له. وهناك خلاف حول تعريف الفقير والمسكين الا ان الحاجة تجمع الاثنين.

العاملين عليها: جباة الزكاة.

المؤلفة قلوبهم: المسلمون الجدد الذين لم يتمكن الاسلام في قلوبهم.

الرقاب: تحرير العبيد والاماء.

الغارمين: المدينين الغارقين في الديون.

في سبيل الله: اي في تجهيز الغزاة والمرابطين على الثغور، وارى التوسع هنا لانعدام الجهاد في زمننا بصرف هذا البند على المشروعات الخيرية كانشاء المدارس والمساجد والمستشفيات والمصانع وسواها والانفاق على تعليم الطلاب الفقراء، وضمان الشيخوخة، والمرض، والبطالة وسوى ذلك من الأعمال التي تعود على الامة بالخير والمنفعة.

ابن السبيل: المسافر الذي نفذ ما لديه من المال وانقطع عن اهله يعطى ولوكان غنيا في بلده.

الانواع التي تجب فيها الزكاة

١ ـ الذهب والفضة: نصاب الذهب الذي تجب فيه الزكاة عشرون مثقالا ويساوي بالعملة المصرية احد عشر جنيها وفيه ربع العشر.

ونصاب الفضة: مئتا درهم ويساوى بالريال المصري ستة وعشرين ريالا وتسعة قروش، فمن ملك نصابا فعليه اخراج ربع العشر.

الاوراق النقدية: اذا كانت تغطيتها بالذهب وبلغت ما تمثل عشرين دينارا أي ٨٥ غراما من الذهب وهو نصاب الذهب وجبت فيها الزكاة عندما يحول عليها الحول وفيها: ربع العشر.

واذا كانت تغطيتها بالفضة وجبت فيها الزكاة اذا بلغت اربعماية درهم وحال عليها الحول وفيها عشرة دراهم من جنسها فان نقصت عن اربعماية درهم فلا زكاة فيها لانها تقل عن نصاب الفضة.

٢ ـ **السوائم:** الابل، والبقر، والغنم، ويلحق به الماعز.

نصاب الابل: خمس من الابل فيها شاة، الى عشرين ففيها اربع شياه، والزيادة ما بين العددين وما فوق العشرين الى الاربع وعشرين ليس فيها زكاة وفي حال تصاعد العدد تزداد قيمة الزكاة ويرجع بذلك الى الكتب الفقهية المعتبرة.

زكاة الغنم والماعز: من اربعين شاة الى مئة وعشرين: فيها شاة واذا زادت على مئتين الى ثلاثماية فيها ثلاث شياه واذا زادت على ثلاثماية: ففي كل مئة زيادة شاه واذا كانت ناقصة عن الاربعين: فليس فيها زكاة.

زكاة البقر والجاموس: في كل ثلاثين من البقر والجاموس: تبيع او تبوعة (وهي ما يتبع امه في السنة الاولى من عمره).

وفي الاربعين منهما: مسن (وهو ما شارف الستين)

وفي الستين منهما: ضعف ما في الثلاثين.

او ما فوق ذلك، ففي كل ثلاثين: تبيع، وفي كل اربعين مسنة، ولا زكاة في غير ذلك من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير إلاّ اذا كانت للتجارة ففيها زكاة التجارة كما يلي:

زكاة عروض التجارة: عروض التجارة هي كل شيء من غير النقد كالمأكولات والملبوسات والمفروشات والمصنوعات، والحيوانات والمعادن والارض والبنيان وكل

ما يباع ويشترى، ويعتبر الربح مع رأس المال فتؤخذ الزكاة على اساس ذلك ويجب في عروض التجارة. اثنان ونصف في المئة شرط ان يتوفر فيها عاملان:

١ ـ ان تبلغ قيمة التجارة النصاب من الذهب والفضة.

٢ ـ ان يحول عليها الحول.

زكاة الزروع والثمار

اذا بلغ القمح او الشعير او التمر او الزبيب خمسة أوْ سق وجب فيه العشر ان سقي بغير مؤونة وتكاليف كماء السماء او الانهار او كان يشرب بعروقه من غير سقي (بعل) وفيه نصف العشر اذا سقي بالدلاء او المضخات. والوسق ستون صاعا، والصاع يساوي ٢,٧٦ كيلو غراما فتكون الكمية التي تجب فيها الزكاة ٦,٥٢ كيلو غراما من القمح مثلا ويختلف هذا الوزن عن وزن الشعير والتمر والزبيب، ولا يشترط مرور الحول عليها بل تدفع فورا الى بيت مال المسلمين.

وهكذا نرى ان الزكاة شرعت للتضامن بين المسلمين بحيث يساهم الاغنياء في اسعاد هذه الفئات المحتاجة المعوزة، كما نرى ان هناك فرقا كبيراً بين الزكاة والضريبة، فالزكاة يدفعها المسلم طائعا مختارا ارضاء لربه واسعادا لمجتمعه، وتطهيرا لنفسه، وتنميةً لماله واذا احتال في تقديرها بحسب ما يملك فان ما اخفاه منها يكون ديناً بذمته يحاسبه الله به. في حين ان الضريبة يدفعها المكلف للدولة مكرها وربما احتال وماطل في ادائها.

خامسا: النظام الحربي

كانت الجزيرة العربية قبائل وعشائر يقاتل بعضها بعضا ويستبيح قويها ضعيفها فتفرق امرهم وسادت البغضاء بينهم وسيطرت دولتا فارس والروم على اجزاء كبيرة من ارضهم في العراق والشام، ثم جاء الاسلام فوحدهم قال تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا[١٥]».

تآخى العرب تحت راية الاسلام وبقيادة محمد صلى الله عليه وسلم فاصبحوا خير امة اخرجت للناس، امة تدافع عن كرامتها ودينها وارضها بالانفس والاموال وبكل عزيز وغال، وكان سلاحهم السيف والدرع والرمح والقسي والسهام والخناجر والخيول والجمال. وقد حثهم الاسلام على القوة والشجاعة وامرهم بالتسلح والاعداد فقال تعالى: واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم[١٦]»، فحقق الله سبحانه في هذه الاية ما يسمونه اليوم بـ (توازن القوى) كما حذر من الاعداء الظاهرين والمستترين (المنافقين) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة (ألا ان القوة هي الرمي، ألا ان القوة هي الرمي، ألا ان القوة هي الرمي)[١٧].

لم تكن الحرب في الاسلام للحرب وانما هي شرعت لغايتين شريفتين:

اولاهما الدفاع عن العقيدة ونشرها ويسمى ذلك الجهاد في سبيل الله ثانيهما الدفاع عن الارض المغتصبه.

ويشترك في ذلك الرجال والنساء فقد ساهمت عائشة وأم سليم رضي الله عنهما في حمل قرب الماء الى المقاتلين، وروت عائشة عن النبي أنه أقرع بين نسائه فخرج فخرجت معه الى القتال بعدما انزل الحجاب، وعن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى الى المدينة[١٨].

اما القتال في سبيل العقيده فهو واجب مقدس قال تعالى: «يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون[١٩]» وقال تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين[٢٠].

وهناك آيات كثيره تحرض على القتال في سبيل جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وهذا حق لان الذي لا يؤمن بالله لا يتورع عن افساد

الارض وتخريبها وهو بذلك يخالف ارادة الله الذي جعله خليفةً عليها ينفذ فيها احكامه واوامره وارادة الله هي استمرار الانسان واعمار الارض، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[٢١].

القتال في سبيل الارض واجب مقدس ايضا قال تعالى: «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق[٢٢]»، قلنا ان الحرب للحرب حرام في الاسلام لانها اعتداء والله سبحانه ينهى عن الاعتداء والظلم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا[٢٣]».

وقال تعالى: «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الى اخر الآية وهذا يعني ان الحرب لو كانت مطلقة لخرجوا اليها بدون اذن ولكن الاذن حصل بعد نفيهم واخراجهم من ارضهم.

وقد امتاز الاسلام بطريقته المثلى في التعبئة النفسية فحفل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بآيات واحاديث رائعة في هذا الصدد واعداد المسلمين قال تعالى: انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم[٢٤]»، اي اقوياء وضعفاء متزوجين وعزّابا اغنياء وفقراء، ويؤنب الله سبحانه الذين يتخلفون عن القتال والذين لا ينفرون مع المقاتلين لأي سبب قال تعالى: ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض، ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة[٢٥]؟ وقال تعالى تقديماً لهم: وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم اشد حراً[٢٦]» وقال ايضاً: يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة صابرون يغلبوا الفا من الذين كفروا ذلك بانهم قوم لا يفقهون «الآن خفف عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين[٢٧]، وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لوددت ان اقتل في سبيل الله ثم احيا، ثم اقتل، ثم احيا، ثم اقتل، ثم احيا ثم اقتل[٢٨].

واكثر من هذا فقد وعد الله الذين يقتلون في سبيله بالحياة الدائمة عنده، فقال سبحانه «ولا تحسبن الذين يقتلون في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون[٢٩]» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر[٣٠]».

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقود الجيش بنفسه، وقد عرف في عهده المنجنيق وضربت به فلول بني ثقيف التي لجأت الى حصون الطائف، كما عرفت في عهده بعض المراتب كالعريف والنقيب فكان يؤمر على عشرة رجال عريفا وعلى كل عشرين عريفا نقيبا وعلى المجموعة اميرا من اهل المعرفة والخبرة في القتال، وكان السلاح المستعمل يوم ذاك كما ذكرنا، ثم عرف المسلمون فيما بعد الضبر او الدبابة وسلم الحصار، والحسك الشائك [٣١] وطوروا هذه الاسلحه الى حد كبير وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اول من بدأ بتطويرها وتطوير الجيش، ثم خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد انشأ عمر الدواوين والدوائر ومن ذلك ديوان الجند وحين استولى المسلمون على العراق والشام ومصر وفلسطين وتوسعت الدولة الاسلامية انصرف الجنود الى الزراعة في تلك البلاد والى جمع الثروات وامتلاك العقارات فخشي عمر ان يصرفهم هذا عما تجندوا من اجله فكفل لهم ارزاقهم وارزاق اعيالهم وأجْرىَ عليهم رواتب شهرية تتناسب مع رتبهم واوضاعهم العائلية والمادية بحيث لا يحتاجون لاحد، كما انشأ الثكنات على طرق تلك البلاد المفتوحة فأقاموا فيها بعيدين عن الاختلاط بالناس وعن التأثر بأي اغراء ومنذ ذلك الحين اصبح التطوع في الجيش اجباريا.

وكان الجيش يتألف من الفرسان (راكبي الخيول) ومن المشاة الراجلين ويرتدي الفرسان الدروع والخوذ المصنوعة من الصلب المحلاة بريش النسور، اما المشاة فكانوا يرتدون اقبية قصيره متدلية الى ما تحت الركبة وسراويل ونعالا تشبه نعال الافغانيين اليوم[٣٢] وكانت الدولة تسخو عليهم كثيرا بالزاد والسلاح،

اما عناصر الجيش فكانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهود الخلفاء الراشدين من العرب دون غيرهم وكان نظام القتال المعروف عند العرب قبل الاسلام هو نظام الكر والفر فأبدل المسلمون هذا النظام بنظام الصف الواحد والزحف المنتظم عملا بقوله تعالى: «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[٣٣]» وبقوله تعالى: «يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا لفئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[٣٤]».

ونحن نستنتج من الاية الاولى طريقة القتال بالصف المرصوص كصف الصلاة فلا يتقدم احد المقاتلين على الاخر، ومن الاية الثانية كيفية الزحف المنظم وعدم التراجع والفرار (فلا تولوهم الادبار) وهدد من يفعل ذلك بسوء المصير وعذاب جهنم مستثنيا من ذلك حالتين:

الاولى: جواز ابدال موقع بموقع اخر اذا رأى المقاتل انه يتمكن فيه من القتال بصورة افعل واقوى.

الثانية: جواز الانتقال من جهة الى جهة اخرى من الجيش بقصد الانضمام الى قوة ضعيفة مقاتلة وهذا الانتقال يشعر العدو وكأن مددا جديدا قد وصل اليها فيسبب له ذلك الخوف والاحباط.

فن القتال عند المسلمين

اولا= ضرب رأس العدو او قطع اصابعه بقصد شل يده عن حمل السلاح والضرب به، قال تعالى: فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء[٣٥]».

وقال تعالى: «اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعماق واضربوا منهم كل بنان[٣٦]».

ثانيا= الحيلة والخدعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعه[٣٧] وهذا

ما نفذه خالد بن الوليد في معاركه مع الفرس فكان يجابه العدو بفرقة ويخفي وراءه فرقتين(كمين) ويحاوره ويناوره حتى يظن انه لايوجد سوى هذه الفرقة وفجأة تنقض الفرقتان على العدو من خلفه فينقصم ظهره وينهزم[٣٨].

ثالثا: المناورة التراجعية وقد نفذها ايضا خالد بن الوليد فكان يقوم بهجوم على العدو ويوهمه بان ازره اشتد وبانه مستعد للقتال ثم ينسحب فجأة من المعركة وبذلك ينقذ جيشه غير المتكافئ مع العدو[٣٩].

رابعا: الحركة الافراجية وهذه ايضا نفذها خالد بن الوليد في معركة اليرموك وهي الضغط على العدو الى حد المضايقة ثم يترك له ممرا للانسحاب[٤٠].

خامسا: التكبير اثناء الهجوم فان ذلك يرعب العدو عن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا اذا اشرفنا على واد هللنا وكبرنا.

سادسا: صلاة الخوف، وهي ان يسجد صف ويبقى الاخر حاملا سلاحه للدفاع عنه عملا بقوله تعالى: واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبينا، واذ كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة[٤١]».

سابعا: صهاريج الابل: [٤٢]، كانت الجمال عند العرب سفن الصحراء تحملهم وتحمل زادهم وعتادهم فاذا ارادوا الحرب عطشوها فترة ثم سقوها لتمتلىء بطونها ثم كموا افواهها ليمنعوا اجترارها ثم ذبحوها لتشرب عند الحاجة بقية الابل من الماء الذي في بطونها وقد استعمل خالد بن الوليد هذه الطريقة في طريقه من العراق الى الشام يوم استدعاه ابو بكر لمساعدة جيش ابي عبيده على الروم - اليرموك -

ادب الحرب في الاسلام

في هذا المجال ايضا لا احد يستطيع منافسة الاسلام او المزايدة عليه ولا الانتقاص منه فالتعاليم الاسلامية بما تحمل من رحمة وانسانية وعدل تمنع قتال غير المحاربين من النساء والاطفال والشيوخ والعجزة وتنهى عن قتلهم وايذائهم وكذلك من حبسوا انفسهم للعبادة في الصوامع والبيع، والذين انقطعوا للعلم وقد ذكرنا آنفاً ان الحرب للحرب محرمة لانها تشكل حينذاك اعتداء، والاسلام ينهى عن الاعتداء والظلم ومن هنا عدم جواز قتال الذين لا يقاتلون جيش المسلمين من المدنيين او الذين سماهم الفقهاء المستأمنين وذلك استنادا لقوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر اخرى «ولوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها رباح بن ربيعة فقال: انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها فمر هو اصحابه على امرأة مقتولة فوقف عليها وقال: (ما كانت هذه لتقاتل) وقال لاحدهم الحق بخالد بن الوليد فلا تقتلن ذريَّةً ولا عسيفاً (اجيرا) ولا امرأة، وفي حديث اخر: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي الرسول فنهى عن قتل النساء والصبيان[٤٣] وقد اوصى ابو بكر رضي الله عنه جيش اسامه بن زيد بن حارثة في اول حملة الى الشام تلك الوصية التي يجدر بكل قائد في كل زمان ومكان ان يعممها على جنوده قال: لا تقتلوا طفلا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكل وقد زاد على هذه الوصية قوله للقائد زيد بن ابي سفيان احد القادة الاربعة المتوجهين الى الشام: ستمرون على اقوام حبسوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له[٤٤] وحرم الاسلام ايذاء المستأمنين، والمستأمن هو الذي يقيم في ديار المسلمين من غير ملتهم وتقع الحرب بين قومه وبينهم ـ لقوله تعالى: وإن احدٌ من المشركين استجارك

فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه[٤٥] وقد قرر فقهاء المسلمين اعطاء مهلة طويلة للمستامن اذا اراد النزوح عن ديار المسلمين لتصفية عمله.

يروى ان واصل بن عطاء زعيم المعتزلة وقع اسيرا هو وبعض اصحابه في ايدي الخوارج فخشي شرهم لتشددهم في امور الدين فقال لاصحابه: بعد أن رأى انهم معرضون للهلاك والموت دعوني واياهم فقالوا: شأنك فخرج واصل اليهم فقالوا: ما انت واصحابك؟ فقال: مشركون يستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقال الخوارج: قد اجرناكم، واخذوا يعلمونه واصحابه احكامهم ثم قالوا: امضوا مصاحبين فانكم اخواننا فقال واصل: ليس ذلك لكم فان الله سبحانه وتعالى يقول: «وان احد من المشركين استجارك الى آخر الآية...» فابلغونا مأمننا، فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذلك لكم وساروا جميعا حتى بلغوهم المأمن.

وقد اوصي المسلمون بالذين هم في ذمتهم فقد ورد عن عمر رضي الله عنه قوله: واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم[٤٦].

ونستنتج من ذلك الامور التالية:

١ ـ حرمة قتل الصبيان والنساء والشيوخ والآمنين.

٢ ـ حرمة قطع الاشجار المثمرة او حرقها.

٣ ـ حرمة التعرض لدور العبادة او القائمين عليها.

٤ ـ حرمة التعرض لاموال الغير ومقتنياتهم.

٥ ـ وجوب القتال عن اهل الذمة المقيمين في ديار الاسلام.

٦ ـ عدم قتل الاسرى ووجوب الاحسان اليهم لقوله تعالى: فاما منّا بعد واما فداء والمن هو اطلاقهم بدون مقابل ابتغاء مرضاة الله، والفداء اطلاقهم بعوض: كالمال، او استبدال اسير باسير، او لقاء تعليم عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة كما حصل في غزوة بدر الكبرى، ولقوله تعالى ايضا في وصف المؤمنين

المحسنين ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا[٤٧]» ولقوله صلى الله عليه وسلم، «فكوا العاني (اي الاسير) واطعموا الجائع وعودوا المريض[٤٨] وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «الا لا يجهزن على جريح ولا يتبعنَّ مدبر، ولا يقتلن اسير».

٧ ـ عدم الغلول: والغلول هو الخيانة في المغانم التي يربحها المسلون في الحرب بان يختلس منها شيء لمخالفة ذلك المبدأ الاسلامي وهو ان لا يقاتل الرجل لمغنم، ولا يقاتل لذكر او جاه، ولقوله تعالى: وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامه[٤٩]».

٨ ـ دفن قتلى الحرب: ومن اداب الاسلام دفن قتلى الحرب تكريماً للانسان حيا وميتا، وقد دفن صلى عليه وسلم واصحابه قتلى قريش في معركة بدر في قليب حفروه.

٩ ـ عدم متابعة القتال اذا جنح العدو للسلام: بما ان الحرب ليست غاية فقد امر الله المسلمين بالتوقف عن القتال اذا رغب العدو في السلم واراد المسالمة، قال تعالى «فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا[٥٠]» شريطة ان لا يكون العدو محتّلاً وطن المسلمين او جزءاً من ارضهم فحينئذ لا تجوز مسالمته الى ان يطرد منها او يجلو عنها باختياره.

١٠ ـ عدم المثلة بالجرحى والقتلى: واذا كان الاسلام قد بلغ هذا الحد من الرحمة والتكريم للانسان بقول نبي المسلمين ان كسر عظم الميت ميتا ككسره حيا[٥١] وقوله «ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته[٥٢]، فهل يصدق احد ان الاسلام يامر بالمثله والنبي صلى الله عليه وسلم قال كل هذا ونهى عن المثلة[٥٣].

١١ ـ عدم الغدر في القتال ولزوم انذار العدو: كان المسلمون ينذرون عدوهم قبل شن الحرب عليه ويمهلونه للرد والتفاهم اذا شاء وهذا يتفق مع القانون الدولي الحديث، وقد بحث فقهاء المسلمين هذا الانذار فقرروا ان المهلة التي تعقبه يجب ان

تكون كافية ليخبر بها العدو دولته، وهذا ما يسمى اليوم بالانذار النهائي، ونذكر بفخر ان المسلمين عندما احتلوا مدينة «سمرقند» بدون انذار احتج جماعة من اهلها لدى الخليفة فعين لهم قاضيا حكم بخروج جيش المسلمين منها على ان يعاودوا الكرة فينذرهم مسبقا، وعندما رأوا عدل المسلمين رجعوا عن احتجاجهم.

١٢ ـ توازن القوى في الاعداد والتاهب فقد قال تعالى: «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون».

ذلك لان الاعداد للحرب يمنع الحرب ويجعل الذين يستعجلون يتريثون عندما يرون اعداءهم يتاهبون ويستعدون كما انه يرهب المنافقين الذي لا تخلو منهم امة وهم عادة يخفون موالاتهم وعداوتهم ويخشون ان ينكشفوا على حقيقتهم والانفاق في هذا السبيل على الاسلحه والاعتدة وتجهيز الجيش يعوضه الله اضعافاً على المنفقين.

١٣ ـ احترام الانسان حياً وميتا فقد جمع المسلمون قتلى بدر من المشركين ودفنوهم في قليب حفروه بايديهم حتى لا تكون جثثهم نهبا للوحوش الكاسرة والطيور الجارحة وحشرات الارض.

وبعد فهذه بعض الاداب والاخلاق الاسلامية في الحرب فأين منها ما نراه اليوم في حروب الدول المتحضرة من غدر ومباغتة واحتقار للانسان؟

السلم والصلح في الاسلام

الحرب حالة طارئة، والسلم حالة دائمة، وقد جاء الاسلام لينشر السلام في بلاد ضاع فيها السلام في بلاد كانت مفتقرة الى الامن والامان فنيران الحرب تنطفئ هنا لتشتعل في مكان اخر، والخوف هو سيد الموقف وقد تمكن الاسلام من اطفاء هذه الحرائق واعاد الهدوء والطمأنينة الى الناس وقد ذكر الله سبحانه قريشا بفضله عليها اذا اعاد اليها الامن المفقود الذي هو في اهمية الطعام والشراب اللذين بدونهما لا يتمكن الانسان من البقاء والاستمرار، فقال تعالى: «لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[٥٤]».

الطعام الذي به قوام الانسان وحياته هو كالامن تماما ضروري لبقائه واستمراره ولذلك امر الله سبحانه المسلم بالجنوح الى السلم اذا جنح له العدو المقاتل، قال تعالى: «وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله[٥٥]»، كما امره بالقاء التحية على اخوانه وعلى الناس تحية الدنيا والاخره (السلام عليكم وأي الامن والامان لكم، وسمى الجنة دار السلام) بل ان السلام من بعض اسمائه الحسنى، قال تعالى: «هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن[٥٦]».

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه: لاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية «وفي رواية لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا[٥٧]»، وفي هذا دليل على ان الحرب محرمة لذاتها الا اذا كانت مشروعة وقد ذهب بعض المفسرين الى القول بان السلام مشتق من الاسلام وان المقصود من قوله تعالى: يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اي ادخلوا في الاسلام، قال بذلك مجاهد ورواه ابو مالك عن ابن عباس، ومن ذلك قول الشاعر:

دعوت عشيرتي للسلم لما

رايتهم تولوا مدبرينا

اي الاسلام (قيل هذا وقت ارتداد كنده عن الاسلام بعد وفاة النبي) وقال عاصم الجحدي: السلم الاسلام، والسلم الصلح، والسلم الاستسلام «ورجح الطبري حمل اللفظ على معنى الاسلام لان المؤمنين لم يؤمروا قط بالدخول في المسالمة التي هي الصلح، وانما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجنح للسلم اذا جنحوا له واما أن يبتدئ بها فلا(٥٨).

هذه هي نظرة الاسلام للسلام وليت عالم عصرنا يؤمن بالسلام كما يؤمن به المسلمون لا عدوان ولا ظلم من احد على احد، ولا استغلال للتفاوت بين الناس ولا قوي يفرض سلطانه على الضعيف، لان الطبيعة البشرية مفطورة على الحرية، ومن شأن الضعيف الذي فقدها بسيطرة القوي عليه ان يتحين الفرص للانقضاض عليه واستعادة حريته المسلوبة طال الزمن او قصر ولذلك تبقى الحروب قائمة والاضطرابات مستمرة ما دام الظلم والاستعمار قائمين، وسيبقى الحذر والخوف وعدم الثقة سمة هذا العالم ما لم ياخذ بمبدأ السلام الحقيقي فلا يعتدي احد على احد ولا يقبل عدوانا عليه ولن يكون ذلك الا اذا نزع الانسان من نفسه الطمع والجشع وعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس(٥٩)».

يوم يؤمن الناس بانهم اسرة واحدة من ابيهم ادم وامهم حواء يوم يؤمن الناس بالاخوة الانسانية التي جاء بها الاسلام، ويوم يفهم الانسان قوله تعالى: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم(٦٠)» يومذاك يعم السلام وينعم العالم تحت ظلاله الوارفة بالامان والاستقرار.

الصلح

اما الصلح فهو جائز بين المسلمين انفسهم وبين غيرهم وقد وضع الاسلام قاعدة للمصالحة العادلة تصلح لتطبيقها على المسلمين وغيرهم قال تعالى: وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم(٦١)».

هذه الاية الكريمة هي ميزان العدل المؤكد ثلاث مرات والذي يساوي بين كفتي الجماعتين المتقاتلتين، ولا تتكافأن بدونه، وهي افضل قانون للمصالحة وفي حال عدم اذعان الفئة الباغية لامر الله الذي هو الصلح والكف عن القتال وجب على المصلحين قتالها وارغامها حتى تخضع لامر الله.

قال العلماء في هذه الاية لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا أوْلا، فإن كان الاول فالواجب أن يُمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافّة والموادعة، فان لم تصطلحا واقامتا على البغي يصار الى مقاتلتهما، واما ان كان الثاني وهو ان تكون احداهما باغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب، فان فعلت اصلح بينهما وبين الفئة المبغي عليها بالعدل، فان التحم القتال بينهما بشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مراشد الحق، فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين(٦٢).

كما ان هذه الاية تدل على جواز مقاتلة الفئة الباغية ولو كانت من المؤمنين وعلى فساد من قال بعدم جواز قتالهم محتجا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتال

المؤمن كفر) ويقول الامام الطبري في ذلك: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حد، ولا ابطل باطل، ولوجد اهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام (خذوا على ايدي سفهائكم)(٦٣).

على انه ينبغي ان يكون الصلح قائما على العدل كما ذكرنا وعلى اعطاء كل ذي حق حقه فاذا قام هذا الصلح على تجاوز حق او على دخل او عيب او ريبة فإنه سرعان ما ينهار وهو ليس بجائز شرعا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلح جائز بين المؤمنين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا.

اما الصلح القائم على اهدار حق احد الطرفين فنسوق عليه ما حدث في غزوة الاحزاب، فقد وادع النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري (او ابن نوفل) كما في كتب السيرة على ان يعطيهما ثلث تمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بجيشهما عن قتال المسلمين فرضيا بذلك، وكانت هذه المفاوضة مبدئية على ان يرجع النبي الى اصحابه ليستشيرهم في الامر، فقال سعد بن معاذ وسعد بن عباده يا رسول الله اهذا امر تحبه فنصنعه لك؟ او شيء امرك الله به فنسمع له ونطيع؟ او امر تصنعه لنا؟ فقال: بل امر اصنعه لكم فان العرب قد رمتكم عن قوس واحدة «فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله لقد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منا ثمرةً ا لاشراء او قرىً (اي ضيافة) فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا؟ والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فسر النبي بذلك وقال انتم وذاك وقال لعيينه والحارث انصرفا فليس لكما عندنا الا السيف.

نسوق هذه الامثلة للعرب والمسلمين الذين يستجدون السلام من اسرائيل التي تغتصب فلسطين واجزاء من اراضيهم واوطانهم وتخترق طائراتها الحربية مجالاتهم الجوية لتعتدي على مواقع قوتهم ومخازن اسلحتهم كما تجوب سفنها

الحربية شواطئهم وتضرب بنيرانها قراهم ومدنهم ونقول لهم ان الله سبحانه في هذه الحال ينهاكم عن المهادنة والمسالمة قال تعالى: «فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون[٦٤]».

نعم انتم الاعلون بايمانكم وثرواتكم وأعدادكم الهائلة، فهل تسمعون؟

سادساً: النظام القضائي

عرف العرب في جاهليتهم القضاء بطريق الاعراف والتقاليد فكان شيخ القبيلة او اميرها يفصل في المنازعات التي تقوم بين الافراد والجماعات وفقا لهذه الاعراف والتقاليد، ولما توافقوا عليه وتعلموه من تجاربهم، ومما اكتسبوه من مخالطتهم وتفاعلهم مع جيرانهم من الفرس والروم، وكانوا يحتكمون احيانا الى الكهنة والعرافين.

جاء الاسلام فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو القاضي الذي يفصل في القضايا كفصله في حلف المدينة الذي عقده مع جماعة من المسلمين مع اليهود والمشركين وقد جاء فيه بند يؤكد هذا «وانه ما كان من اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله[٦٥]».

وكان النبي يحكم بين الناس على ضوء تعاليم القرآن الكريم عملا بقوله تعالى: «وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذر ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك[٦٦]»، فاذا توصل الى مصالحة المتنازعين حمد الله واذا لم يتوصل الى ذلك سار في القضية وفقا لطرق الاثبات التي اعتمدها.

١ ـ الاقرار.

٢ ـ البينة الخطية.

٣ ـ البينة الشخصية وفقا لقوله صلى الله عليه وسلم (البينة على المدعي واليمين على من انكر).

٤ ـ الفراسة.

وبعد انتشار الدعوة الاسلامية اذن الرسول لبعض اصحابه بالفتيا كعمر وعلي وعائشة وعبد الله ابن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه اسند القضاء الى عمر رضي الله عنه دون ان يسمى قاضيا وكان المتهم في حال ادانته يحبس بوضعه في مسجد او بيت ويمنع بالاختلاط بالناس ويلازمه خصمه او نائبه حتى جاء عمر بن الخطاب ومن بعده من الخلفاء وخصص للمدانين السجون المعروفة كما اقام نظاما تشريعيا للقضايا وامر بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في فض المشاكل طبقا لاحكام القرآن والسنة النبوية والقياس ثم الاجماع بشرط ان يكون للقضية مستند من الكتاب والسنة وكان عمر اول من عين القضاة في الولايات الاسلامية وجعلهم فئة خاصة واجرى عليهم الرواتب الشهرية فكان شريح بن الحارث الكندي قاضيا في الكوفة، وابو موسى الاشعري قاضيا في البصرة وكذلك غيرهما من القضاة.

اما تشريع عمر في القضاء فقد بيّن فيه اهميته من الناحية الدينية وحث فيه على المساواة بين الخصمين في المعاملة والعدل وعرض الصلح واعادة النظر في الحكم الذي يخطئ فيه القاضي واهمية الفهم الكامل للقضية المطروحة والمقارنة بالقياس على نظائرها واشباهها اذا لم يكن لها سند في الكتاب والسنه، وتعيين الجلسات، ودعوة المدعى عليه الغائب، وسماع الشهادة من العدول الا المجلود بحد، او المعروف بشهادة الزور، او المطعون بولائه او نسبه.

ثم انتقل عمر رضي الله عنه في تشريعه هذا الى ما ينبغي ان يكون عليه القاضي فلا ينظر في الدعوى وهوقلق او ضجر، او ينوي اذى بعض المتقاضين او يتنكر لهم رغم معرفته لحقهم «لانه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه الله». وقد عمم عمر رضي الله عنه تشريعه هذا بموجب كتاب ابلغه الى سائر القضاة ليعملوا بموجبه.

ثم تطور القضاء الاسلامي فكان القاضي يحكم طبقا لاحكام القرآن والسنة وهي ما صدر عن النبي من قول او فعل فان لم يكن في الواقعة نص من الكتاب والسنة اجتهد القاضي برأيه ثم اصبح الرأي والقياس مبدأ تبنى عليه معظم الاحكام في العصور التالية:

كان القضاة مستقلين في احكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة ولا بأية ميول اخرى، عملا بقوله تعالى: «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل[٦٧]»، ومن الطبيعي ان القضاة فهموا معنى الربط بين الامانة والقضاء.

ولذلك كانوا يحكمون حتى لعدوهم ولو على انفسهم عملا بقوله تعالى: «يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى[٦٨]».

ومع ذلك كله فقد كان الحاكم يراقب احكام القضاة فيعزل من يشذ منهم عن طريق العدل والاستقامة.

وتطور القضاء في عهد الامويين فاتخذت السجلات لتدوين الاحكام ـ وكانت من قبل تنفذ فور صدورها ولا تسجل واول من سجل الاحكام قاضي مصر سليم بن عنز في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان.

وخلاصة القول ان الخليفة عمر رضي الله عنه كان اول من عين القضاة واجرى عليهم الرواتب كما قدمنا نذكر منهم: سليمان بن ربيعة فقد كان راتبه خمسماية درهم وشريح الكندي وكان راتبه مئة درهم شهريا مع مؤونته من القمح ثم زيدت هذه الرواتب فيما بعد تبعا لازدياد دخل الدولة.

هذا ويشترط في القاضي ان يكون متحليا باداب واخلاق الاسلام مقلا من الاشارة بيده والالتفات بوجهه وان يكون ضحكة تبسما ونظرة فراسة وتوسما، واطراقه تفهما، ملتزما من السَّمت الحسن والسكينة والوقار، وان لا يقبل الهدية فقد أهدي عمر بن عبد العزيز هدية وكان واليا فردها فقيل له ان رسول الله كان يقبل

الهدية، فقال: كانت له هدية، وهي لنا رشوة، لانه كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن يتقرب الينا لولايتنا.

ومن آداب القاضي ايضا انه لا يبيع ولا يشتري في مجلس القضاء لنفسه، وانه يشهد الجنازة ويعود المريض ويجيب الدعوة ولكنه لا يطيل مكثة، ولا يمكن احدا من التكلم بالخصومات لان الخصم الاخر يتهمه وان يجتنب بطانة السوء وان يتخذ مترجما، واذا تكلم امامه من لايعرف العربية ترجم له مسلم موثوق، وان يكون اعوانه في زي الصالحين فأنه يستدل على المرء بصاحبه، وان لا يبيح للناس الركوب معه الا في حاجة ورفع مظلمة، وان لا يكثر الدخال عليه والركاب معه في غير حاجة كانت لهم الا اذا كانوا اهل امانة ونصيحة، وان يتخذ من اعوانه من يخبره بما يقول الناس في احكامه واخلاقه وسيرته وشهوده، فاذا اخبر بشيء فحص عنه فان في ذلك قوة على امره، ومنها ان لا يرى لاحد منزلة عنده مثل ان يدعو شخصا معينا للتزكية والتجريح والشهادة والكشف.

ومنها انه لا ينبغي له ان يصغي باذنه للناس في الناس فيفتح على نفسه بذلك شرا عظيما وتفسد عقيدته في اهل الفضل البراء مما قيل فيهم عنده[٦٩].

الحسبة

هي وظيفة دينية تتعلق بالنظر في امور النظام العام والجنايات احيانا مما يحتاج الفصل فيها الى السرعة وكانت الحسبة والقضاء الذي هو فض المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام يسندان في بعض الاحيان الى رجل واحد مع ما بينهما من تباين لان عمل القاضي مبني على التحقق والاناة في الحكم في حين ان عمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل(٧٠).

اجمل ابن خلدون اعمال المحتسب فقال: ويبحث المحتسب عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمولة، والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ضررها المحتمل على السابلة، والضرب على ايدي العاملين في المكاتب وغيرها في الابلاغ عن ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على منازعة أو استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع اليه، وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقا فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها، وفي المكاييل والموازين، وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكأنها احكام ينزه عنها القاضي لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى المحتسب ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء(٧١).

وكان عمر رضي الله عنه اول من قام بهذه الوظيفة بنفسه ثم عين العسس وهم الحراس الليليون ولم تكن هذه الوظيفة تعرف بالحسبة، وهي اجمالا تتعلق بالنظام العام وموضع الحسبة الرهبة وموضع القضاء النصفة(٧٢) وقد بيّن الشيرازي الشروط التي يجب ان تتوافر فيمن يتولى الحسبة فاضاف الى ما ذكرناه ان

المحتسب كان يشرف على السلع المعروضة في الاسواق، فيشرف على بائعي الفراء، وصانعي الحلوى، وعلى شوائي اللحوم وعلى الرواسين (بائعي الرؤوس) والاكارع.

وعلى قلائي السمك والهرائسيين اي صانعي الهريسة وهي طعام من خليط القمح واللحم، كما كان يشرف على الشرابين اي صانعي الاشربة وهي الادوية السائلة، وعلى البزازين اي بائعي الثياب وعلى الحاكة وهم الذين ينسجون الغزل قماشا، وعلى الخياطين لمراعاة جودة التفصيل وعلى الصباغين والدلالين والمنادين، وعلى الصاغة والصيارفة وعلى الحمامات(٧٣).

قاضي المظالم

لقد كان الخلفاء يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء وتحتاج الى علويد وعظم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز القضاة او غيرهم عن امضائه، ويكون نظره في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم لجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرون هذه الوظيفة بانفسهم الى ايام المهتدي العباسي.

ان سلطة قاضي المظالم اعلى من سلطة القاضي والمحتسب، وقد انشأ العباسيون هذا المنصب وبنوا له دور العدل ومحكمته اي محكمة المظالم كمحكمة الاستئناف اليوم.

اول من تولى هذا المنصب احد اصحاب ابي حنيفة (ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم) وهو اول من ميز لبس القضاة بلباس خاص بهم.

ويناط الى قاضي المظالم او قاضي القضاة امر تعيين القضاة في الاقاليم والامصار ومراقبة احوالهم وسلوكهم، وقد عرف العرب شبيها لهذا في جاهليتهم

فقد اجتمعت قبائل قريش في دار عبد الله بن جدعان فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم الا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته فسمي ذلك (حلف الفضول) الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم لو ادعى به في الاسلام لاجبت».

وتشكل محكمة المظالم من هيئة قضائية عليا وتعرض عليها القضايا التي يعجز القاضي عن تنفيذ حكمه فيها وكانت تعقد برئاسة الخليفة او الوالي او من ينوب عنه، وكان قاضي المحكمة اذا كان من الموظفين يعين يوما خاصا يقصده المتظلمون فيه، اما اذا كان غير موظف فيكون له النظر في جميع الايام ويعاون القاضي في عمله:

١ ـ الحماة والاعوان لمجابهة من يلجأ الى القوة والعنف من المتقاضين.

٢ ـ القضاة والحكام.

٣ ـ الفقهاء للاستعانة بهم في ما اشكل من المسائل الشرعية.

٤ ـ الكتاب الذين يدونون الوقائع.

٥ ـ الشهود.

وخلاصة القول ان القضاء في الاسلام كان مستقلا بعيدا عن تدخل الخلفاء والامراء لمصلحة هذا او ذاك من الناس او لمصلحة الحكام انفسهم كما ان القضاة كانوا مضرب الامثال في العدالة والجرأة في احقاق الحق ويكفي للتدليل على ذلك مثل واحد من امثلة يحفل بها تاريخ القضاء المشرق وهو موقف القاضي ابي يوسف «يعقوب بن ابراهيم الانصاري» صاحب الامام ابي حنيفة ومدون مذهبه فقد وقف امامه احد قواد الخليفة هارون الرشيد يشهد في قضية فرد القاضي شهادته وعلم الخليفة بالامر فاستدعى القاضي اليه وعاتبه على ما كان منه مع قائده المقرب اليه يسأله عن سبب رد شهادته فقال القاضي: سمعته يقول لك: انا عبدك، فان كان صادقا فلا شهادة لعبد، وان كان كاذبا فشهادته مردودة لكذبه، فقال له الخليفة، وما

شأني كشاهد لديك؟ اتقبل شهادتي؟ فقال القاضي لا، فتعجب الخليفة وسأله عن السبب فقال: لانك تتكبر على الخلق ولا تحضر الجماعة مع المسلمين وهذا ينافي العدالة التي هي شرط لقبول الشهادة فما كان من الخليفة الا ان بنى مسجدا في داره ليحضر فيه صلاة الجماعة.

الحدود والعقوبات

الحد لغة المنع، وشرعا عقوبة مقدرة فرضها الشارع زجرا عن ارتكاب ما يوجب هذا الحد وقد شدد الشارع عقوبة الزنا لكونها من الكبائر ولكونها اعتداء على الاعراض والانساب فكانت كما يلي:

الزنا: تتعلق عقوبة هذا الفعل بالرجل والمرأة المحصنين (المتزوجين) وبغير المحصن (العازب) عملا بقوله تعالى فيما يختص بغير المحصن (والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلده)[٧٤]، وقد اكملت السنة النبوية هذه العقوبة بنفيه مدة سنة الى بلد آخر.

اما عقوبة المحصن فانها الموت: بالرجم او بالرصاص او بالسيف وتلزم هذه العقوبة بالاقرار، او بشهادة اربعة شهود يشهد كل منهم انه رآهما بالعين يرتكبان هذا الفعل والا فلا رجم، ويشترط في الاحصان اربعة شروط: البلوغ والعقل والحرية ووجود الوطء في نكاح صحيح، وقد الحق بالزنا اللواط والمحلل الذي يقوم باجراء عقد زواجه على المطلقة بائنا بينونة كبرى بقصد تحليلها للمطلق دون ان يدخل بها.

القذف: وهو لغة الرمي، وشرعا رمي المرأة او الرجل بالزنا في معرض التعيير: كقوله يا زاني او يا زانية، قال تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده[٧٥]»، وقال تعالى: ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة[٧٦]».

السرقة: لغة اخذ مال الغير خفية وظلما، وشرعا اخذه خفية من حرز مثله،

وعقوبتها قطع يد السارق اليمنى من مفصل الكف الذي يلي الابهام او الخنصر ويسمى (الكرسوع).

ويشترط للقطع شروط منها:

١ ـ ان يكون السارق بالغا.

٢ ـ ان يكون عاقلا.

٣ ـ ان يسرق نصابا وهو ربع دينار فاكثر، ولا تقطع اليد في اقل من ذلك.

٤ ـ ان يأخذه من حرز مثله، ولا قطع في شيء من الماشية الا فيما آواه المراح، ومعنى الاحراز ان يكون المال في موضع حصين مع اشراف المالك عليه وملاحظته.

٥ ـ ان يكون المسروق لا مال للسارق فيه.

٦ ـ ان لا يكون شبهة للسارق في مال المسروق منه لحديث صحح الحاكم اسناده (ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم) كمن سرق مالا مشتركاً بينه وبين غيره او اخذه ظاناً انه ماله او مال احد اصوله او فروعه.

٧ ـ كون السارق مختاراً فلو مكرها لا تقطع يده.

٨ ـ كونه ملتزما للاحكام الشرعية فلا تقطع يد الحربي لعدم التزامه بها.

٩ ـ كون المسروق محترماً فلا تقطع يد سارق الخمر او الخنزير او الكلب لان ذلك لا يعتبر في الشرع الاسلامي مالا.

ولا يطبق حد القطع على سرقة الثمار والطيور قال بذلك الخلفاء الراشدون الاربعة، ولا على سرقة الطعام في زمن القحط والمجاعة.

اما اذا سرق السارق ثانيا فتقطع رجله اليسرى من الكرسوع (مفصل الساق)، وان سرق ثالثا تقطع يده اليسرى، فان سرق رابعاً قطعت رجله اليمنى، فان سرق بعد ذلك يعزر هذا على مذهب الشافعي، اما الخلفاء الراشدون، فقد قطع علي رضي الله عنه من الكف او قطع الاصابع وترك الابهام، وقضى ابو بكر وعمر رضي الله

عنهما في السرقة الثالثة باعادة المسروق او قيمته بدلا من الحد وبعدم مسؤولية مشتري المسروق اذا لم يكن يعلم انه مسروق.

الردة: وهي لغة الرجوع عن الشيء الى غيره، وشرعا الرجوع عن الاسلام قولا أو فعلا وهو افحش الكفر قال تعالى: «قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم...[٧٧]»

حد الردة: القتل قال بذلك الخلفاء الراشدون بشرط استتابة المرتد واعطائه مهلة ثلاثة ايام، فان تاب صح اسلامه وترك وشأنه عملا بقوله تعالى: «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف[٧٨]»، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاذا قالوها [٧٩] عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحَقِ الاسلام» واذا لم يتب يقتل ولا يغسل ولا يصلى عليه لقوله تعالى «لا تصل على احد منهم مات ابدا» ولا يدفن في مقابر المسلمين.

البغي والظلم: الاصل فيه قوله تعالى: وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وتشمل: التمرد على الدولة لعمومها ويقاتل اهل البغي عملا بقوله تعالى: «فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله».

ويشترط لقتالهم ما يلي:

١ ـ ان يكونوا في منعة بحيث يؤثرون على الحكم بان كانوا كثرة، أو قوة سلاح او في حصن منيع.

٢ ـ ان يخرجوا عن قبضة الحكم باقتطاعهم جزءاً أو قرية أو ثكنةً تابعة لهذا الحكم.

٣ ـ ان يكون لهم تأويل سائغ اي محتمل في خروجهم عن الطاعة غير أن هذا التأويل فاسد، وتقبل شهادتهم لانهم ليسوا فاسقين لتأويلهم، ويضمنون ما اتلفوه من نفس ومال في غير قتال ولا يقتل اسيرهم ولا مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يغنم مالهم ولا يجوز الاستعانة عليهم بكافر. ولا يجوز منع الطعام والشراب عنهم.

الحرابة اوقطع الطريق: هم اللصوص والمجرمون الذين يقطعون الطرق

للناس ويمنعونهم من المرور بقصد سلبهم او ارهابهم جهرا، فان قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا، وان قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا زيادة في التنكيل، وان أخذوا المال ولم يقتلوا تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف. اما اذا كان قطعهم الطرق للارهاب والاخافة، فانهم يعزرون بالضرب او الحبس او النفي او بما يراه الحاكم من انواع التّعزير، ومن تاب منهم قبل القاء القبض عليه سقطت عنه الحدود وطولب بالحقوق. والاصل فيه قوله تعالى: «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف[٨٠]».

الشرب وتعاطي الخمرة: الاصل في تحريمه قوله تعالى: «انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله تعالى فهل انتم منتهون[٨١]».

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام[٨٢]»،

اما حده فهو اربعون جلدة ويجوز ان يبلغ به ثمانين جلدة على وجه التعديل، فقد جلد النبي صلى الله عليه وسلم شارب الخمر اربعين جلدة وجلدها عمر ثمانين، وتجب عليه العقوبة هذه بالاقرار والبينة.

الصيال: معناه لغة: الإستطالة والوثوب: والاصل فيه قوله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»، وقوله صلى الله عليه وسلم: انصر اخاك ظالما او مظلوما، والصائل ظالم فيمنع من ظلمه لان في ذلك نصره فمن قصد باذى في نفسه او ماله او حريمه فقاتل عن ذلك وقتل الصائل فلا ضمان عليه من قصاصٍ أو ديةٍ أو كفارة[٨٣].

ما تتلفه البهائم: على راكب الدابة ضمان ما اتلفته دابته: سواء أكان مالكا لها أم مستأجراً أم مودعاً أم مستعيراً ام غاصباً شرط أن لا يكون هناك تقصير من صاحب المال فيه فلو وضع ماله في الطريق او عرضه للدابة فلا يضمن راكبها، وان كانت الدابة وحدها فأتلفت زرعا او نحوه نهاراً فلا يضمن صاحبها وان اتلفته ليلاً ضمن تقصيره بارسالها ليلا... ويستثنى من الدواب: الحمام والطيور فلا ضمان باتلافها مطلقا.

الجنايات والديات

القتل اربعة انواع:

١ ـ القتل العمد: هو ما تعمده الجاني بالسلاح او بسواه مما يجرح فقتله به ففيه القود اي القصاص ولا شيء فيه من الدية، الا اذا تصالح الجاني مع ذوي القتيل على شيء في ماله حالا او مؤجلا فيصح ذلك والاصل فيه قوله تعالى: «يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى[٨٤]».

٢ ـ القتل الخطأ: هو ما اصابه الجاني فقتله وكان لم يرده بل أراد غيره كما اذا كان يصطاد فأصاب إنساناً فقتله، ففي ذلك الدية على الجاني والعاقلة (اي اهله العصب واقاربه لابيه) مقسطة على ثلاث سنوات في كل سنة ثلثها، وتكون من الابل والورق والذهب (في مذهب الامام ابي حنيفة) والاصل فيها قوله تعالى: «ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا[٨٥]».

٣ ـ شبه العمد: وهو ما اريد وتعمد فأصيب به النفس أو ضربه بما لا يقتل كالضرب بالسوط او بالعصا وما شابه فمات فتجب فيه دية الخطأ المغلظة، اي مئة من الابل.

٤ ـ القتل بالتسبب: ومثالها ما اذا حفر رجل بئرا فوقع انسان فيه فمات فالعقوبة هنا الدية المخففة. اي مئة من الابل عشرون حقة وعشرون جذعة واربعون بنت لبون وعشرون بنت مخاض وهي مخففة من وجهين:

١ ـ وجوبها مؤجلة في ثلاث سنوات.

٢ ـ وجوبها على العاقلة (وهم اهل القاتل العصبة واقرباؤه من قبل ابيه.

اما قطع الاطراف والجراح فيصح فيها القصاص العين بالعين واليد باليد مثلا كما تصح الدية المخففة ويرجع بذلك الى كتب الفقه المعتبرة ايضا.

ويحسن بنا في ختام هذه الابحاث المتعلقة بالقضاء ان نثبت هنا الكتاب الذي بعثه الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما والى غيره من القضاة، والذي يعتبر دستورا للقضاء في كل مكان وزمان، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر امير المؤمنين، الى عبد الله بن قيس[٨٦] سلام عليك، اما بعد فان القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم اذا ادلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من انكر، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراماً او حرم حلالا، ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق، فان الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم لما تلجلج في صدرك ممّا ليس في كتاب ولا سنّة، ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها، واجعل للمدعي حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه، فان احضر بينته اخذ بحقه، والا وجهت القضاء عليه، فان ذلك اجلى للعمى وابلغ للعذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجرّباً في شهادة زور او ظنينا (متهما) في ولاء او قرابة فان الله سبحانه تولّى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات واياك والقلق والضجر والتأذي للناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر، فانه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه الله...».

المعاهدات والعلاقات الداخلية والخارجية

ان الاسلام ينطلق في الاساس من مفهوم وحدة الجنس البشري كما قلنا وان الرحم الانسانية محترمة لا يجوز قطعها بين الناس ولذلك دعا الاسلام الى السلم والمسالمة واعتبر قتل النفس بدون حق محرماً والقتال بدون حق محرماً واذى الناس محرماً.

كما ان الاسلام يؤمن بان العلاقات بين الافراد والجماعات والدول يجب ان تقوم على اساس من الحق والعدل والتعامل بالمثل وقد حفل القرآن الكريم بالايات التي تحث على العدالة مع الاعداء والاولياء كما ان الاحاديث النبويه اكثر من أن تحصى في هذا المضمار كقوله عليه السلام بلسان ربه:

«يا عبادي اني قد كتبت العدل على نفسي فلا تظالموا»، وقوله ايضا: «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام[٨٧]»، لان العدل هو شريعة الانبياء جميعاً، قال تعالى: «لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [٨٨]»، فالميزان يرمز الى العدل والقسط اي العدل ولذلك اكتفى الاسلام بنشر الدعوة وضمان حريتها واعتبر العلاقات العامة بينه وبين الاخرين علاقات سلم دائم ما لم تمس هذه الحرية التي هي لمصلحة البشر جميعاً، والتي ليس فيها ما يمس اغراضهم السلطوية والعسكرية والاستراتيجية وان المقولة الاسلامية الاسلام والجزية او الحرب وان كانت شائعة في العهد الأول من الفتوحات الاسلامية الا انها ليست من قواعد الاسلام الثابتة فقد امضى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها عهودا مع المشركين في بدء الدعوة كعهد الصحيفة الذي كان نتيجة تآمر قريش عليه وعلى اتباعه فقد كتبوا كتابا تعاقدوا فيه على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا

منهم وعلقوا صحيفة هذا العقد في جوف الكعبة فلم يزد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه الا قوة وتمسكا بحبل الله وفداء وتضحية في سبيله، وظلت هذه الصحيفة نافذة المفعول ثلاث سنوات وعانى محمد واصحابه خلالها الوان الحرمان الى ان تحركت النخوة في صدور بعض القرشيين فاتفق هشام بن عمرو وزهير بن ابي امية وتعاهدا على نقض هذه الصحيفة الظالمة فطاف زهير بالبيت سبعا ثم نادى في الناس: يا اهل مكة انأكل الطعام وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يباع منهم؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة وسمع نفر من القرشيين هذا الكلام فتقدم المطعم بن عدي ليشق الصحيفة فوجد الارضة قد اكلتها الا فاتحتها باسمك اللهم.

وكذلك عهد الحديبية فحينما وصلت المفاوضات بين محمد صلى الله عليه وسلم وجماعته وبين قريش الى الاتفاق دعا محمد عليه السلام علياً رضي الله عنه وقال له: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل بن عمرو موفد قريش الى النبي للمصالحة امسك: لا اعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله لعلي اكتب باسمك اللهم، ثم قال اكتب هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: امسك لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك، اكتب اسمك واسم ابيك، قال رسول الله اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيلا بن عمرو ثم كتب العهد بين الطرفين وهو ينص على ان الهدنة بينهما تمتد الى عشر سنوات وان من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه عليه، وانه من احب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه، ومن احب محالفة قريش، فلا جناح عليه وان يرجع محمد واصحابه عن مكة عامهم هذا على ان يعودوا اليها في العام الذي يليه فيدخلوها ويقيموا فيها ثلاثة ايام ومعهم من السلاح السيوف في قربها ولا سلاح غيرها».

ونحن اذ نتحدث عن المعاهدات الاولى في الاسلام لابد من التحدث عن عهد

المدينة مع اليهود وغيرهم فقد كان الفريق الاول في هذه المعاهدة محمد صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار، والفريق الثاني اليهود والمشركون لنرى كيف اقر محمد صلى الله عليه وسلم الحريات جميعا حرية العقيدة والرأي، والملكية، والشخصية، وكيف حرَّم الجريمة في عالم جاهلي قلت فيه:

كل يوم فواجع داميات

تقذف الامن بالاذى العربيد

تعرف البدء بالحقود ولا

تعرف انتهاء لشر تلك الحقود

وهذا هو نص المعاهدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب / محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس، المهاجرون

من قريش على ربعتهم (اي على امرهم الذي كانوا عليه) يتعاقلون معاقلهم الاولى وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار واهل كل دار، بني الحارث وبني ساعده وبني جثم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، الى ان قال: وان المؤمنين لا يتركون مغرماً (اي المثقل بالدين والعيال) بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل (والعقل والمعاقلة مقاسمة الدية بين اقارب القتيل لابيه العصبة) ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم (طبيعته) او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين، وان ايديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وان ذمة الله واحدة

يجير عليهم ادناهم، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والإسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم.

وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله (يريد أن المؤمنين بعضهم اولياء بعض فيما ينال دماءهم) وان المؤمنين المتقين على احسن هدى واقومه، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وانه من اعتبط مؤمنا (اي قتله) قتلا عن «بينة فانه قود به، الا ان يرضى ولي المقتول، وان المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه الصحيفة وامن بالله واليوم الاخر ان ينصر محدثا (اي جانياً) ولا يؤويه، وان من نصره أو اواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامه ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله والى محمد رسول الله، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم، الا من ظلم او اثم فانه لا يوتغ (اي يهلك ويفسد) الا نفسه واهل بيته، وان ليهود بني النجار ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعده، ويهود بني جشم، ويهود بني الاوس ويهود بني ثعلبة، ولجفنه، ولبني الشطيبة (او الشطتنه) مثل ما ليهود بني عوف وان موالي ثعلبه كانفسهم، وان بطانة يهود كانفسهم وان لا يخرج احد الا باذن محمد، وانه لا يتحجر على ثأر جرح (اي لا يلتَئم جرح على ثأر) وانه من فتك فبنفسه واهل بيته الا من ظلم، وان الله على ابر هذا، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه، وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها، وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفه من حديث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله، وان الله على أتقى ما في

هذه الصحيفة وابره، وانه لا تجار قريش ولا من نصرها، وان بينهم النصر على من دهم يثرب، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وان يهود الاوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة، وان البر دون الاثم، لا يكسب كاسب الا على نفسه، وان الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وابره لا يحول هذا الكتاب دون ظالم او آثم، وان من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم واثم وان الله جار لمن بر واتقى».

وبناء على ذلك، ليس حقيقة ما يدعى ان المسلمين او جماعتهم ملزمون باقامة السلم على احد شرطي الاسلام والجزية والا كانوا في حالة حرب دائمة مع اكثر البشر وامتنع ظهور الاسلام كدعوة عالمية[٨٩].

وبما ان الاسلام جاء لارساء السلام فقد بنى قواعد السلم على مبادئ ثابتة لا تتغير من العدالة والحرية والمساواة، ووضع اسمى ما توصلت اليه البشرية من مبادئ لاستقرار هذا السلام وتوثيقه، قال تعالى: «**واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم لتكون امة هي اربى من امة، انما يبلوكم الله، ولنبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة، ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون، و لاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم**[٩٠]».

فقد اعتبر الله سبحانه الوفاء بالعهد وفاء له ونقضة خيانة له واخلالا بكفالته حيث اضاف الكفالة لنفسه كما نهى سبحانه عن نقض هذا العهد بأي اغراء كالرشوة بالمال او المنصب او اي شيء اخر مهما غلت قيمته فقال تعالى «ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا[٩١]».

لقد نظر الاسلام الى مسألة علاقاته بين الناس فافترض انهم:

اولا = مؤمنون، يحكمهم الاسلام وديارهم دار الاسلام، وهم في جميع اوطانهم اخوان تحت شعار قوله تعالى: «انما المؤمنون اخوة»، والمسلم يعتبر مواطنا في أي وطن مسلم له ما لاهله من الحقوق والواجبات وعليه ما عليهم وان جنسيته هي الاسلام ولا ينقض هذا العهد الا بالكفر والردة.

ثانيا = اهل ذمة: وهم الذين اختاروا الاقامة في دار الاسلام وقد مر معنا معنى الذمة على ان لا يخضعوا للانظمة الاسلامية المالية وللعقوبات في حال اقترافهم ما يوجب هذه العقوبات لان مخالفة ذلك يعتبر اخلالا باستقلال الدولة الاسلامية، وانتهاكا لحرمة ما تحترم ولهم حينذاك ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من حقوق وواجبات على انه ليس للدولة الاسلامية معارضتهم في امورهم الدينية او منعهم من ممارستها او في معاطاة ما يعتبرونه حلالا كشرب الخمرة واكل لحم الخنزير وسوى ذلك من الامور التي يعتبرها دينهم حلالا. وقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم عهدا مع نصارى نجران يؤكد هذا المعنى وهذا نصه: «لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على ما تحت ايديهم من قليل او كثير، لا يعير اسقف من اسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن عن كاهنيته، وليس عليه دنيه، ولا دم جاهليه، ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطأ ارضهم جيش ومن سال منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين».

وقد اكدت الشريعة الاسلامية على حفظ العهود فجعلت حرمتها فوق صلة الدين قال تعالى «وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق[٩٢]».

ثالثا: مستأمنون: والمستأمن شخص رحل الى الديار الاسلامية على غير نية الاقامة المستمرة فيها، وتكون اقامته محدودة لمدة معلومة يدخل فيها بعقد يسمى (عقد الامان) وهو ما يشبه اليوم جواز السفر وفي هذا العقد تأمين للمستأمن على نفسه وماله وتجارته ولو كان منتميا الى دولة تحارب المسلمين ما دام متمسكا بعقد

الامان. يقول السرخسي في كتابه المبسوط «اموالهم صارت مضمونة بحكم الامان، فلا يمكن اخذها بحكم الاباحة».

وان ما اكتسبه المستأمن في دار الاسلام يبقى ملكاً له ولو عاد الى دار الحرب وحمل السلاح مع قومه لحرب المسلمين، على انه اذا وقع اسيراً بين ايدي المسلمين يصادر ماله باعتباره غير اهل للمليكة وتطبق على المستأمن اذا اعتدى على مسلم او ذمي ما قررته الشريعة الاسلامية من عقوبات اذ ان المحافظة على العدل والعمل به هو من القواعد الثابتة التي لا تتغير في الاسلام.

سابعاً = النظام البحري:

لم يكن للعرب المسلمين شأن يذكر في الحروب البحرية ولم يكن لهم مع البحر صحبة و لاخبرة الا أنه في خلافة عمر رضي الله عنه كان اول من ركب البحر واليه في البحرين العلاء بن الحضرمي فقد توجه لغزو بلاد فارس باثني عشر الفا من المسلمين دون ان يستأذن الخليفة بذلك وقد رجع من غزوته هذه بالغنائم الكثيرة ولكنه خسر السفن التي اقلت جنوده، ولما علم الخليفة بالامر عزله من الولاية، وروي ان عمر رضي الله عنه طلب من عمرو بن العاص واليه في مصر ان يصف له البحر وراكبه فبعث اليه يقول: يا امير المؤمنين، اني رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس الا السماء والماء، ان ركد احزن القلوب وان ثار ازاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلّة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، ان مال غرق وان نجا برق، فلما قرأ عمر الكتاب ارسل الى معاويه يامره بعدم ركوب البحر وكان معاوية قد طلب الاذن منه بغزو الروم بحرا، وقد اعاد معاوية الكرة بمطالبة عثمان رضي الله عنه بعد وفاة عمر فأذن له عثمان بشرط ان لا يكره الناس على ركوب البحر، وان يترك ذلك لاختيارهم فاستعمل معاوية على البحر عبد الله بن قيس فغزا خمسين غزوة شتاء وصيفا.

وحارب عبد الله بن سعد والي مصر من قبل الخليفة عثمان قسطنطين بن هرقل في بحر الروم وانتصر عليه في موقعة (ذات السوارى) التي اشتبك فيها الف

سفينة للبيزنطيين ومئتان للمسلمين المصريين، وفي تلك السنة فتح العرب جزيرة قبرص وبلغ اسطول الشام البحري الفا وسبعماية سفينة وفي عهد عثمان غزا عقبة بن عامر الفهري جزيرة رودس.

اهتم المصريون كثيرا في البحر فانشأ امراؤهم (دار صناعة السفن) في جزيرة الروضة فصنعوا القوارب الصغيرة والسفن الكبيرة التي كانت تشحن بالاسلحة والمقاتلين لغزو الدولة الرومانية الشرقية عن طريق الاسكندرية ودمياط، وقد اشتهر احمد بن طولون بانشاء المراكب البحرية كما برع بصنعها الفاطميون وهيأوا لها الموانى البحرية المحصنة، واحتلوا صقلية وكانت اخر حملة بحرية لهم على بلاد الروم عام ٣١٦هـ فاستولوا على مدينة (ترانت) وجزيرة «فرسقه» ودمروا اساطيل الافرنج وغنموا بلادا كثيرة ذات قيمة حربية واصبح لهم شأن كبير في العالم الاسلامي.

وفي عهد صلاح الدين الايوبي انشئ ديوان خاص للبحريه سمي بـ (ديوان الاسطول) واقر له صلاح الدين موازنة خاصة وعهد بادارته الى اخيه العادل وذلك لصد غارات الصليبيين عن الموانئ الاسلامية).

وكذلك كان «للمرابطين» في المغرب اسطول صغير ينقل الجنود من المغرب الى الاندلس وكان عدد السفن كبيرا بالنسبة للسفن الحربية وقد انتصر الاسطول الحربي المغربي في عهد علي بن يوسف على اسطول الفرنجة وفتح «بلنسية» وجزر «البليار».

وفي عهد الموحدين كان عدد سفنهم الحربية اربعمائة غطت جميع مرافئ البلاد، وقد انشأ الموحدون المدارس الحربية لتخريج القادة والضباط الى جانب ضباط البحرية وانشأوا لهذه الغاية سفن التدريب وبركة قرب مراكش وضعت فيها السفن والقوارب الصغيرة، وكان التعليم مجاناً على نفقة الدولة الموحدية، وقد تخرج عدد كبير من القواد وكبار الضباط من هذه المدارس العسكرية وقد كانت هذه المدارس والاساطيل البحرية والجيوش الكبيرة تعتمد على خراج المغرب الذي بلغ في

عهدهم ما يقرب من مائة وخمسين بغلا (اي حمولة بغل) من افريقيا وحدها عدا (لمبحاية) واعمالها و (تلسمان) واعمالها [٩٣].

ولا ينكر ان الفضل في هذه الصناعة البحرية يعود الى البيزنطيين فقد اقتبس العرب عنهم هذا الفن ولكن العرب الاذكياء المهرة اصبحوا فيما بعد اساتذة اوروبا في علوم البحار ولا تزال بعض الاصطلاحات البحرية وبعض القطع المستعملة في اوروبا محتفظة باسمائها العربية الى الآن [٩٤].

هوامش

١ ـ عن انس رضي الله عنه رواه الطبراني حديث حسن.

٢ ـ عن ابن عمر حديث صحيح متفق عليه.

٣ ـ البقره: ٣٠.

٤ ـ الانعام: ١٦٥.

٥ ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٦٩.

٦ ـ الحشر: ٦.

٧ ـ الحشر: ٧.

٨ ـ الانفال: ٤١.

٩ ـ الاحكام السلطانيه للماوردي ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

١٠ ـ آل عمران: ١٦١.

١١ ـ الكل: من لا ولد له.

١٢ ـ عن ابي هريرة رضي الله عنه (متفق عليه).

١٣ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما (رواه البخاري ومسلم) متفق عليه.

١٤ ـ التوبه: ٦٠.

١٥ ـ آل عمران: ١٠٣.

١٦ ـ الانفال: ٦٠.

١٧ ـ عن عقبة بن عامر رواه مسلم.

١٨ ـ عن ربيع بنت معوذ رواه البخاري.

١٩ ـ الصف: ١٠ ـ ١٣.

٢٠ ـ البقرة ١٩٣.

٢١ ـ عن ابي موسى رواه البخاري،

٢٢ ـ الحج: ٣٩.

٢٣ ـ عن ابي هريرة رواه البخاري.

٢٤ ـ التوبه: ٤١.

٢٥ ـ التوبه: ٣٨.

٢٦ ـ التوبه ٨١.

٢٧ ـ الانفال: ٦٥ ـ ٦٦.

٢٨ ـ عن ابي هريره رواه البخاري.

٢٩ ـ آل عمران ١٦٩.

٣٠ ـ عن ابي يعلى رواه البخاري في باب الجهاد.

٣١ ـ انظر كتاب الفن العسكري الاسلامي للعميد الركن الدكتور ياسين سويد ص ٢٠ وكتابه معارك خالد بن الوليد ص ٤٢ ـ ٤٥.

٣٢ ـ تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٤٨٠.

٣٣ ـ الصف: ٤.

٣٤ ـ الانفال ١٥، ١٦

٣٥ ـ محمد: ٤.

٣٦ ـ الانفال: ١٤.

٣٧ ـ عن جابر بن عبد الله رواه البخاري.

٣٨ـ انظر معارك خالد بن الوليد للعميد الركن الدكتور ياسين سويد.

٣٩ـ المرجع نفسه.

٤٠ ـ المرجع نفسه.

٤١ ـ النساء ١٠١ ـ ١٠٢.

٤٢ ـ تسمية الابل بالصهاريج استعملها الدكتور سويد في معارك خالد بن الوليد.

٤٣ ـ عن ابن عمر متفق عليه.

٤٤ ـ رواه مالك عن ابي بكر رضي الله عنه.

٤٥ ـ التوبه ٦.

٤٦ ـ عن عمر رضي الله عنه رواه البخاري (باب الجهاد والسير). ج ص ١٧٨ متن البخاري بحاشية السندي.

٤٧ ـ الانسان: ٩.

٤٨ ـ عن ابي موسى رواه البخاري في باب الجهاد والسير.

٤٩ ـ آل عمران ١٦١.

٥٠ ـ النساء: ٩٠.

٥١ ـ عن عائشة رواه ابو داوود وابن ماجه (الجامع الصغير) جـ ١ ص ٣٥٧.

٥٢ ـ عن شداد بن اوس رواه مسلم.

٥٣ ـ عن المغيره رواه الحاكم والطبراني.

٥٤ ـ سورة قريش.

٥٥ ـ البقره: ٢٠٨.

٥٦ ـ الحشر: ٢٣.

٥٧ـ عن بلال رواه الترمذي وابن ماجه.

٥٨ ـ الجامع لاحكام القران للقرطبي جـ٣ ص ٢٢.

٥٩ ـ عن سهل بن سعد رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي حديث صحيح.

٦٠ ـ الحجرات: ١٣.

٦١ـ الحجرات: ٩ ـ ١٠.

٦٢ـ الجامع لاحكام القرآن جزء ١٦ ص ٣١٧.

٦٣ ـ عن النعمان بين بشير رواه الطبراني، انظر احكام القرآن ج ١٦ ص ٣١٧.

٦٤ ـ سورة محمد / ٣٥.

٦٥ـ ابن هشام جزء ٢ ص ٩٤ ـ ٩٨.

٦٦ ـ المائدة: ٤٨.

٦٧ ـ النساء: ٥٨.

٦٨ ـ المائده: ٨.

٦٩ـ معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الاحكام ابن خليل الطرابلسي ص ١١

٧٠ ـ الماوردي ج ١٠ ص ١٩٨

٧١ ـ مقدمة ابن خلدون: ص ٢٢٥و ٢٢٦

٧٢ـ ابن خلدون المرجع نفسه.

٧٣ ـ تاريخ الاسلام السياسي، للدكتور حسن ابراهيم حسن، ج ٤ ص ٣٨٥

٧٤ ـ النور: ٢

٧٥ ـ النور: ٤

٧٦ ـ النور: ٢٣

٧٧ ـ التوبه: ٦٥

٧٨ ـ الانفال: ٣٨

٧٩ ـ اي الشهاده

٨٠ ـ المائدة: ٣٣ ـ ٣٤

٨١ ـ المائدة: ٩٠

٨٢ ـ عن عائشة (متفق عليه)

٨٣ ـ الاقناع جـ ٤ ـ ص ٢٣٦.

٨٤ ـ البقره ١٧٨

٨٥ ـ النساء ٩٢

٨٦ ـ اسم ابي موسى الاشعري.

٨٧ ـ عن اوس بن شرحبيل اخرجه الطبراني ـ حديث صحيح

٨٨ ـ الحديث ٢٥

٨٩ ـ انظر الرساله الخالده لعزام ص ١٠٤.

٩٠ ـ النحل: ٩١ ـ ٩٤

٩١ ـ النحل: ٩٥

٩٢ ـ الانفال ٧٢

٩٣ ـ تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن جزء ٤ ص ٢٧٦

٩٤ ـ ابن هشام جزء ٢ ص ٩٤ ـ ٩٨.



الفصل الرابع

العرب والعلوم

برع المسلمون والعرب في مختلف العلوم الثقافية والنقلية والعقلية وذلك بدافع من دينهم الذي يدعوهم الى العلم ويحضهم عليه فقد قال الله سبحانه مقارنا بين العلم والجهل: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون[1]»، وقال مخاطبا نبيه الكريم تعليماً لاتباعه: «وقل رب زدني علما[2]»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العلم فريضة على كل مسلم» وكان يحث المسلمين على تعليم اهلهم ومواليهم، فقال: ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك الذي ادى حق الله وحق مولاه، ورجل كانت لديه امة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران»، وحث رسول الله أتباعه على تعلم اللغات فنصح زيد بن ثابت بتعلم كتابة اليهود لكي يأمن مكرهم، ولذلك برع المسلمون في مراحل حكمهم بالعلوم النقلية كعلم القرآت «اي قراءة القرآن على سبع طرق بحسب لهجات العرب»[3]، وعلم الكلام والفقه والتفسير والحديث والنحو والجغرافيا والادب من شعر ونثر، وقد برعوا ايضا بالفنون كفن الزخرفة، والنقوش الخطية العربية وصناعة البناء وهندسة الاعمدة والقباء والاقواس والمقرفصات او الدلايات وهي زخارف بارزة تشبه خلايا النحل، وفي بناء المدن كالبصرة والفسطاط والقيروان وغيرها، وفي تشييد المساجد كالحرم النبوي الشريف ومسجد دمشق ومسجد القيروان،

اما العلوم العقلية فقد اشتغلوا بالكيمياء والطب ونورد هنا نبذة عن تفوقهم في الطب والكيمياء.

فمن الاطباء ابو بكر الرازي وله عدة كتب في الطب منها (الحاوي) والمنصوري و (من لا يحضره طبيب حيث تناولت جميع الامراض كالجدري والحصبة وسواها وقد سمي (بجالينوس العرب) ولا تزال كتبه مرجعا لاطباء الشرق والغرب.

ومنهم علي بن العباس المجوسي وله كتاب «الملكي» عن الشرايين الشعرية الدقيقة، وحركة الرحم والولادة.

ومنهم ابن سينا وكتابه الشهير «القانون» وقد جمع فيه ما عرفه الطب القديم وما ابتكره هو من النظريات الطبية وما اكتشفه من امراض وسمى اكثر من سبعماية وستين عقارا مع اسماء النباتات التي يستخرج منها العقار وقد تناول فيه مختلف الامراض كالسكتة الدماغية والتهاب السحايا والشلل، وانتقال الامراض التناسلية، والجهاز الهضمي، وميز بين مغص الكلى ومغص المثانة وكيفية استخراج الحصاة منهما. كما ميز التهاب الرئة من التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوي وبرع في دراسة العقم، والسرطان، وخالف أبقراط في وجوب الامتناع عن معالجته اذ قال: والسرطان اذا استؤصل في أول اعراضه شفي المريض منه، وبحث في التحليل النفسي، وسبب تكوين الجنين وعلة تكونه في الرحم ذكرا او انثى، والتشريح ودرس الحواس وبيّن اماكن ارتباطها بالدماغ، واكتشف الطفيلية المعوية التي تسبب داء اليرقان.

وهناك في هذا المجال اطباء كثيرون كالزهراوي، وابن الهيثم، وعلي بن عيسى، وحنين بن اسحاق، ويوحنا بن ماسويه، ولسان الدين الخطيب وعلي بن الحزم، وابن زهير، والطبري، وقد اغنى هؤلاء الاطباء المكتبة الطبية بتآليفهم التي لا تزال مراجع يعود اليها اطباء الغرب،

اما في الصيدلية فان علماء المسلمين هم الذين فصلوا علم الصيدلة عن علم الطب، وهم الذين نظّموا مهنة الصيدلة كابن وافد الاندلسي وابي جعفر الغافقي

وابي منصور الصوري والادريسي وابن البيطار وسواهم، اما في الكيمياء فقد عالج العرب بحث الكيمياء بالتجربة الذاتية، واستعانوا بالعلوم الرياضية ووسائل القياس ولجوئهم الى التجربة والمراقبة والامتحان والاستنتاج قادهم الى اختراع التصفية والتبخير ورفع الاثقال فالكيمياء تعتبر علما عربياً.

يقول ابو الكيمياء جابر بن حيان: يجب ان تعلم اننا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه او قيل لنا وقرأناه بعد ان امتحناه وجربناه فما صح اوردناه وما بطل رفضناه».

لقد اخذ العرب من القدماء علومهم ولكنهم طوروها واكتشفوا عن طريق التجربة والتطوير الغاز والزرنيخ وحامض الطرطير والاثمد وكربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم، والصودا الكاوية، والماء الملكي والحامض الازوني والكحول وحامض الكبريت وحامض النتريك، كما اكتشفوا اسلوبا لفصل الذهب عن الفضة واشتهروا بصناعة الورق والزجاج وهم اول من ادخل صناعة الورق الى اوروبا التي نقلت عنهم كثيرا من هذه المكتشفات وبقيت تسميات كثيره محتفظة لديها بالتسمية العربية.

الفيزياء

ترجم العرب كتب الفيزياء لارسطو وايرن وسواهما في رفع الاثقال، والمرايا المستديرة، والمقعرة واشعتها المحرقة، وانعكاس الضوء، والثقل النوعي، والساعات المائية، والمنبه الباني، والكرة لرفع الاثقال، ومضخات لدفع المياه وسحبها، والرؤية. وقد صحح ابن الهيثم نظرية بطليموس في الرؤية، فرفض قوله بان النور ينطلق من العين الى المرئيات وقال: لو كان ذلك صحيحا لاستطعنا ان نرى اجساما في العتمة، واكتشف ظاهرة الانعطاف الضوئي او التكسر، واكتشف ابن سينا ان سرعة الضؤ محدودة وانه اسرع من الصوت وقال بذلك «البيروني» وعمل البيروني نظرياً وعملياً في بحوث السوائل وتوازنها وضغطها.

وحدد العرب الوزن النوعي لعدد من الاجسام غير الذائبة في الماء واكتشفوا ظاهرة الجاذبية ومنهم الخازن وابن قره وابن سينا.

ومن اشهر الفيزيائيين العرب قطب الدين الشيرازي، وله كتاب «نهاية الادراك» شرح فيه ظاهرة قوس قزح مستدركا ما فات ابن الهيثم في ذلك اما الخازن في كتابه (ميزان الحكمة «فانه وصف الموازين التي كان يستعملها العرب في تجارتهم بدقة، وفيه وصف لميزان غريب التركيب لوزن الاجسام بالهواء والماء.

وألَّفُ «الكندي» في المد والجزر

واخترع العرب كثيرا من آلات الرفع المبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الاثقال مثل المحيط والمخل والبيرم والاسفين واللولب وغيرها...

واشتهروا بصنع الساعات المائية كالساعة التي صنعها محمد بن علي في

دمشق واحتفظت بدقتها اربعة قرون ويذكر ان الرشيد اهدى «شارلمان» ساعة يخرج منها كل دقة فارس ثم اثنان حتى يخرج منها اثنا عشر فارساً.

واخترع العرب كثيرا من آلات التسلية القائمة على توازن السوائل والتي تتحرك ذاتيا.

واخترع ابن يونس رقاص الساعة باعتراف (سيديو) وسارطون وغيرهما.

الموسيقى

وكذلك نجح العرب في الموسيقى والفوا في هذا الموضوع كتبا كثيرة فألف الكندي كتاب (الرسالة الكبرى في التأليف) وهو عبارة عن ابحاث في الدراسات الموسيقية العربية، كما ألف رسالة «الايقاع» «والمدخل الى الموسيقى»، والف «السرخسي» كتابي «الموسيقى الكبير» و«الموسيقى الصغير» بحث فيهما الموسيقى نظرياً وتطبيقياً، وبحث المسعودي في مروج الذهب تاريخ الموسيقى العربية والموسيقيين، وكذلك ابو فرج الاصبهاني في كتابه الاغاني، كما ان لثابت بن قره رسالة في فن النغم تحدث فيه عن الاصوات، والابعاد، والاجناس، والجموع، والايقاع، والانتقال والصنج، والشاهرورد، والطنبور، والمزمار، والبربط، وتأليف الالحان، وغير هؤلاء كثير.

كما عرف العرب الغناء فقد كان حداة الابل يغنون الرجز ليخففوا عن انفسهم مشقة الطريق، وظهر المغنون في عهد الامويين وكان أشهرهم طوسي، وحبابه، وابو مروان الغريض وسواهم...

الرياضيات

برع العرب ايضا في الحساب بعد اتساع الامبراطورية الاسلامية لتسهيل المعاملات التجارية ودفع الصدقات، وضبط الخراج، وتنظيم بيت المال، ودفع الرواتب.

وكان العرب اول من اضاف النقطة الى الفراغ الذي كان يعتمده الهنود مكان الصفر، واحيانا كانوا يستعملون النقطة في الشكلين واحيانا الدائرة في الشكلين، مما احدث التباسا بينها وبين الرقم خمسة فأضاف العرب النقطة الى الشكل الاول

والدائرة الى الثاني وسموا هذه الاضافة صفرا، فسهلت هذه الاضافة المعاملات من جمع وطرح وضرب وقسمة.

وهم الذين اوجدوا منازل للاعداد: احاد، عشرات، مئات، الوف.

واستخدم العرب كسور العدد على اساس تركيب العدد، اذ كما يترتب صعودا: ١، ٢، ٣، يترتب نزولا $\frac{١}{٢}$ $\frac{١}{٣}$ $\frac{١}{٤}$، واستبدلوا النظام الستيني بالنظام العشري، وحولوا الكسور من ستينية الى عشرية ومن عشرية الى ستينية.

وعرف العرب المتواليات العددية والهندسية، وقد أضاف ثابت ابن قره الأعداد المتحابة وهي ما كان مجموع اجزاء عدد الاول يساوي الثاني ومجموع اجزاء الثاني يساوي الاول مثل ٢٢٠، ٢٨٤ وبنى قاعدة تستخرج بها هذه الاعداد.

وقد اوجد العرب حلولا عديدة للمسألة الواحدة وطرائق الجمع والضرب وبحوثاً في النسبة بين محيط الدائرة وقطرها

علم الجبر

كان عرب الجاهلية على صلة بغيرهم تجاريا في العراق والشام واليمن وقد عرفوا شيئا من الرياضيات وردت في اشعارهم لمح عنها فقد طلب من زرقاء اليمامة ان تعد سربا من القطى فقالت:

ليت ذا القطا لنا ونصفه ليه

الى قطاتنا اذاً لنا قطا ميه

فكانت المعادلة الجبرية:

$$س + \frac{س}{٢} + ١ = ١٠٠$$

درس العرب ما جاء في كتب القدماء الرياضيه عن الجبر وجعل الخوارزمي رموزا للجبر:

س = المجهول او شيء.

س٢ = المال او ما اجتمع من الجبر مضروبا بنفسه.

م = يساوي العدد المالي الخالي من الرموز.

الاصم = الذي لا يتجذّر.

هذا ولا يزال اسم هذا العلم ـ الجبر ـ الى اليوم معروفاً باسم احد أقطاب علماء المسلمين.

علم الهندسة

برع العرب في فن العمارة وما بقي من اثارهم في البلاد العربية يشهد بذلك وحضارة اليمن في هذا المجال كتب عنها (هيرودوت) كما ان قصر غمدان، وسد مارب، والهياكل القائمة أثارها في تدمر، وقصور الاندلس كل ذلك يدل على اصالتهم في الفن الهندسي.

علم النجوم

وكذلك عرف العرب علم النجوم الابراج والسيارات وعددا من الثوابت وسموا بعضها: كبنات نعش الكبرى والصغرى والسها والفرقد والسماك والجدْيَيْنْ وعرفوا علم الفلك وطبقوا العلم النظري في قياس الزمن ورصد الكواكب وطرق حساب التقاويم وعلم الأزياح(٤) والخسوف والكسوف والجاذبية بين الكواكب.

ومن اشهر الفلكيين العرب «الكندي» الذي وضع ستة عشر مؤلفاً في علم الفلك وتسعة عشر مؤلفا في علم النجوم، وكذلك ثابت بن قره والبوزجاني والكوهي والبيروني والمجريطي وابن الهيثم والطوسي.

وقد تعلم المسلمون عن طريق الكلدان الذين هاجروا الى بلاد العرب هذا العلم واسماء الابراج: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد، والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

وتعلموا منازل الشمس والقمر وقد قسموا منازل القمر الى ٢٨ منزلا وكانت لدى الهنود ٢٧ قسما، وعرفوا مهب الانواء والرياح: مهب الصبا والشمال والدبور، والجنوب من الشمال والمغرب والجنوب والشرق وتناولت ابحاثهم ظواهر الاجرام السماوية وحركاتها نظرياً فحددوا مواضعها وبينوا الكسوفات والخسوفات واحتجاب الكواكب، اما عملياً فقد طبقوا العلم النظري في رصد الكواكب وقياس الزمن وطرق حساب التقاويم والزيجات وبحثوا في حركات الكواكب واوضاعها وطبيعتها والجاذبية بينها وبنوا المراصد لمراقبتها، فبنى الامويون مرصدا في دمشق، وبنى الخليفة المأمون مرصدا في دمشق واخر في بغداد، وبنى غيرهم مراصد على جبل المقطم في مصر وفي اصفهان وسمرقند، وقد حسنوا آلات الرصد واخترعوا بعضها وسبقوا غيرهم في علم الفلك.

١ ـ قاسوا خط نصف النهار (من الهاجرة واستخرج البيروني قاعدة عرفت باسمه س = ب جيتان وبها عرف مقدار محيط الارض

وقد اعتبر العلماء اليوم هذه الطريقة من اعظم اثار العرب في علم الفلك كما اثبت البيروني ان الارض كروية تدور على محورها.

هذا ولا يزال الفلكيون الى اليوم يطلقون اسماء عربية على بعض النجوم كالمئزر، وبنت نعش، والفخذ، والمقرز في مجموعة الدب الاكبر، والفرقد، والكوكب في مجموعة الدب الاصغر.

ومن الانصاف القول بان العرب المسلمين اخذوا بعض هذه العلوم والنظريات بالتفاعل مع الشعوب التي امتزجوا بها بعد الفتوحات ولكنهم زادوا عليها وطوروها الى حد كبير.

الزراعة

اهتم خلفاء العصر العباسي بالزراعة فحفروا الترع ومصارف المياه واقاموا الجسور والقناطر وكانت الاراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات من اخصب بقاع الدولة العباسية وكانت الحكومة تشرف على ادارتها اشرافاً مباشراً فكثرت فيها المزارع والبساتين وكانت تعرف بأرض السواد لكثرة ما فيها من الشجر والزرع الأخضر(٥).

كانت الحنطة والذرة والشعير والارز والنخيل واشجار الفاكهة تزرع في كافة انحاء الدولة العباسية وكذلك الكروم ويذكر ان بعض عمال هارون الرشيد حمل اليه عنقودين من العنب محملين على بعير من كروم اليمن وكانوا يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما يلقح النخل بالطلح.

وكذلك اشتهرت بلاد الشام بالتفاح وفلسطين باشجار الزيتون، وكان قصب السكر يزرع في البصرة وصور.

واقتنى العرب الجاموس الذي جلبوه من الهند وكان الفلسطينيون يعتنون بتربيته ويعتمدون في غذائهم على لحمه ولبنه اما لحم البقر فلم يكن مستساغا لان الطبيب ابا بكر الرازي كان يوصي بلبن الغنم ولحم الضأن.

وكانت بعض النباتات كالتوابل والقطن وقصب السكر والتوت تزرع في المغرب والاندلس، كما نجحت زراعة القمح والشعير والذرة والفواكه كالبرتقال والكمثري والتفاح والتين والعنب والرمان والخوخ في الاندلس وكذلك الموز والارز في وديان البحر المتوسط وعني اهل الاندلس في زراعة الكتان والقطن لصناعة الملابس والتوت لتربية دود القز واقام العرب السدود وشقوا الجداول واستخدموا مياه

الانهار في الري وقد وضع الامويون تقويما للزراعة عرف بالتقويم القرطبي اخذه عنهم غيرهم من الامم[٦].

الصناعة

عني المسلمون بالصناعة واستثمار الموارد المعدنية فاستخرجوا الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان كما استخرجوا المرمر والخزف من تبريز والملح والكبريت من شمال بلاد فارس والقار والنفط من بلاد الكرج.

واشتهرت البصرة بصناعة الصابون والزجاج، كما انشئت مصانع الورق في مدن كثيرة، ودور للطراز في مدن فارس فتفوق المسلمون في صناعة الحرير والاطلس والمنسوجات الحريرية المشجرة والسجاجيد وكان لكل حرفة سوق خاص بها كسوق الحدادين وسوق النجارين وسوق البزازين.

وكذلك اشتهرت بصياغة الذهب والفضة وصناعة الادوية والعقاقير والمراكب والسفن والرخام الابيض والخمري والاحمر والمجزع وصناعة آلات الحرب كالتروس والرماح والسروج واللجم والدروع وباستخراج زيت الزيتون والنبيذ، والعقاقير من النباتات المختلفة وقد اسس محمد بن علي بمدينة غرناطة حديقة للنباتات ابيح دخولها للاطباء وحدهم لدراسة النباتات النادرة.

هوامش

١ ـ الزمر: ٩

٢ ـ طه: ١١٤

٣ ـ صحيح البخاري عن ابي برده ج ١ ص ٣٠.

٤ ـ تحركات الكواكب.

٥ ـ يلحق العرب لون الخضرة بالسواد وأرض السواد أي التي تكثر فيها الاعشاب والنباتات الخضراء.

٦ ـ تاريخ الاسلام السياسي، ج٢، ص ٣٠٨.

الفصل الخامس

طعون وردود

١ ـ الرد على منتقدي تسمية اهل الكتاب بالذميين

كثيرون هم الذين ينتقدون تسميتهم بالذميين من اهل الكتاب ويجهرون برفض هذه التسمية، وهم لو علموا اصلها ومردها ومضمونها لفاخروا بها وشكروا الاسلام والمسلمين عليها، وايقنوا بعدل هذا الدين القويم.

كثيرون هم الذين ينتقدون تسميته اهل الكتاب بالذميين

ان تسمية اهل الكتاب بالذميين: تعنيَ انهم في ذمة رسول الله واصحابه، وان لهم العهد بالامان والمعاملة بالمثل وتفضيلهم عمن سواهم من المحاربين والمشركين.

فهم باعتراف القرآن ومحمد والمسلمين: اهل كتاب لهم احترامهم وهم بنسبتهم الى ذمة رسول الله واصحابه: احرار في ممارسة عقائدهم وطقوسهم في ديار الاسلام.

وهم بنسبتهم الى ذمة رسول الله واصحابه: في منعةٍ وأمان يدافع عنهم المسلمون كما يدافعون عن انفسهم.

وهم بنسبتهم الى ذمة رسول الله واصحابه: غير مكلفين بقتال الاعداء ولا يدفعون ما يتوجب على المسلمين من زكاة.

وهم بنسبتهم الى ذمة رسول الله واصحابه: مشمولون بالضمان الاسلامي في مرضهم وفقرهم وبطالتهم وشيخوختهم.

وهم بنسبتهم الى ذمة رسول الله واصحابه: لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وبعد، فهل اذا تساوى المسلم مع الذمي فدفع الاول الزكاة وبذل الدم وحمى الثاني وضمنه، ودفع الثاني جزية ضئيلة مقابل ذلك هل يعتبر ذلك ظلماً ونقيصة؟

ان قصة الشيخ اليهودي الضرير الذي رآه عمر بن الخطاب يتسول فأخذ بيده الى بيته ووصله بشيء من المال ثم استدعى امين بيت مال المسلمين فقال له: انظر الى هذا وامثاله فوالله ما انصفناه، اكلنا شبيته ثم نخذله عند الهرم؟ «انما الصدقات للفقراء والمساكين» وهذا من مساكين أهل الكتاب، ثم اجرى عليه راتباً من بيت المال.

ان هذه القصة وامثالها دليل على عدل المسلمين فهل تفعل الدول الفاتحة اليوم ما فعله المسلمون بشعوب البلاد التي فتحوها؟

اما الجزية التي هي مقابل هذه الخدمات فقد ردها خالد بن الوليد الى نصارى الشام حين شعر بعدم قدرته على الدفاع عنهم ضد جيش الروم وكذلك فعل ابو عبيدة بن الجراح فهل بعد هذا زيادة لمستزيد؟

٢ ـ الرد على مقولة تقصير الاسلام عن مواكبة العصر

ان هذا الزعم مخالف للحقيقة والواقع، فقد اثبت الاسلام انه صالح كشريعة ونظام عالمي في كل زمان ومكان للاسباب التالية:

اولا = لاعجازه في بلاغته وفصاحته، واحاطته بكل ما يختلج في النفوس البشرية من احاسيس ومشاعر، قال تعالى في معرض التحدي «قل ان اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا، ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا[١]»

وقد جرت محاولات عديدة في العصور الغابرة لتقليد القرآن وادعى اكثر من

كذاب انه يستطيع ان ياتي باجود منه او مثله ولكنهم كانوا جميعا موضع التكذيب والسخرية والاستهزاء.

ثانيا = كونه دين الناس كافة فقد خاطب الله فيه الناس عامة فقال: «يا أيها الناس، ورب الناس، ورب العالمين، ورب المشرق والمغرب»، بل قال لرسوله الكريم: وما أرسلناك الا كافةً للناس بشيراً ونذيراً».

ثالثاً = كونه دين الفطرة: قال تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون[٢]».

دين الفطرة التي يخلق الانسان عليها في سائر انحاء الدنيا، الفطرة التي تميز الخير من الشر والحسن من القبيح، هذه الفطرة التي لاتتبدل ولا تتغير الملائمة لطبيعة الانسان ايا كان فلا تحمله ما هو خارج عن طبيعته وخلقه.

رابعا = كونه دين العلم: العلم الذي قدسه الاسلام وبدأ به رسالته اقرأ باسم ربك الذي خلق واقسم الله به (نون والقلم وما يسطرون) ولذلك جعلت الشريعة العلم الزامياً قبل ان يرى العالم المتمدن النور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) اي على كل مسلم ومسلمة.

خامسا = لانه دين الفكر والتأمل، فقد حث الله الناس على التفكير في انفسهم وفي كل ما يحيط بهم او تقع عليه ابصارهم، او تحس به مشاعرهم والتفكير في معتقداتهم، وان لا يأخذوا بالتقاليد الموروثة عن ابائهم واجدادهم وذويهم قال تعالى: واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون[٣].

وطبيعي ان يكون هذا التفكير للاستنتاج والغوص في كنة الاشياء وحقيقتها للعبرة وبناء الشيء على مقتضاه، والدين الذي دعا الى الاطلاع على مواقع النجوم منذ خمسة عشر قرنا لا يعتبر مقصرا بل سابقا في مضمار العلم والتقدم الحضاري لقد قال تعالى: فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم [٤].

الله سبحانه يدعو خلقه منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا الى رحلات فضائية لاكتشاف مواقع النجوم والشموس والاقمار، ليطلعوا عليها ويدركوا عظمته ودقيق صنعه، وليزداد ايمانهم بألوهيته ووحدانيته. كما اشار في بعض الآيات الى اشياء علمية كونية صرفة ونكتفي هنا بايراد ايتين كريمتين في كتاب الله اوحاهما الله لنبيه لا لمجرد تلاوتهما بل لحفز المسلمين على التأمل والغوص في البحوث العلمية واسرار الكون والطبيعة قال تعالى: والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون(٥).

وقال: او لم يروا أنَّا نأتي الارض ننقصها من أطرافها(٦).

وقد اكتشف العلماء في عصرنا ان السماء تتسع والارض تنقص مصداقا لقوله تعالى والاسلام حين يدعو الناس الى التفكير في خلق السموات والارض وما فيهما وما عليهما. فانما يدعو الى استثمار ما ظهر واكتشاف ما خفي من آيات وعبر وقد قطع المسلمون اشواطاً بعيدةً في هذا المجال ولكن الاستعمار حال بينهم وبين متابعة تقدمهم.

سادسا = انه دين الانسانية لمساواته بين الناس جميعا دون تمييز لانسان على الاخر الا بالعمل الصالح والتقوى قال تعالى: يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم(٧) ولتسخيره جميع مخلوقاته من ارض وسماء وهواء وبحار وانهار ونبات وجماد لمصلحة الانسان ومنفعته، ولتكريمه الانسان وجعله خليفة له على الارض قال تعالى: «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة(٨)»، والخليفة آدم ابو البشر هو رمز الانسانية جمعاء.

سابعا = دين الحياة والعمل: قال تعالى = «وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون(٩)»، وقال وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره ولا تنسَ نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك(١٠)»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما، اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، وفي رواية: احرث لدنياك...

وخلاصة القول ان الاسلام هو دين الدنيا ودين الآخرة، اما المنتقدون فنقول لهم: قل يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانت تعلمون[11]»، «ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون[12]».

٣ ـ الرد على منتقدي تعدد الزوجات

لقد رخص الاسلام للمسلم ان يتزوج باربع نساء لقوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» ولكنه قيد هذه الاباحة بالعدل فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة: والعدل يجب ان يكون في المعاملة والقسمة بين الزوجات في كل شيء حتى في الكلمة الطيبة كما يجب ان يكون لديه القدرة المالية والجنسية على توفير نفقاتهن بالتساوي بحيث لا يميز احداهن عن الاخرى وبحيث يؤدي قسمتهن بالعدل في المبيت والمعاملة وفي اعتقادي كما يتبين من الآية ان هذه الرخصة وضعت لتغطي حالات استثنائية منها:

١ ـ نقص عدد الرجال عن النساء في الحرب وفي الحالات العادية العامة.

٢ ـ عقم المرأة ورغبة الرجل في الانجاب وعدم رغبته في طلاقها اذا كانت عقيماً.

٣ ـ مرض المرأة بحيث لا يتمكن الرجل من معاشرتها معاشرة الازواج.

ومع هذه الرخصه فقد اجاز الاسلام للمرأة واعطاها الحق في ان تمنع زوجها من التعدد وذلك وفقا لما قرره فقهاء المسلمين حيث قالوا: اذا اشترطت المرأة في عقد زواجها على الزوج ان لا يتزوج عليها وكل امرأة يتزوجها فهي طالق وقع الشرط (انظر المادة ٣٨ من قرار حقوق العائلة) المعمول به في المحاكم الشرعية اللبنانية والذي اجمع عليه علماء المسلمين.

ولكن ما رأي المنتقدين الذين يكتفون بزوجة واحدة ظاهراً ويتخذون سراً عشرات الخليلات كما هو الحال في بلدانهم؟

ما رأيهم بالامراض المتفشية عندهم كالايدز والزهري وسوى ذلك من الامراض القاتلة نتيجة للفلتان الجنسي المعروف عندهم؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا ظهر الزنا والربى في قرية فقد احلوا بانفسهم عذاب الله[١٣]».

ما رأيهم واولاد السفاح يملأون الطرقات و زوايا الشوارع والازقة والمدارس في بلادهم؟

ما رأيهم في حال وجود قدرة جنسية عند الرجل لا يكتفي معها بامرأة واحدة؟

اليس في التشريع الاسلامي ما يسد هذه الثغرات؟

وما دام الله قيد الترخيص بالعدل الا يعتبر استعمال هذا الترخيص عند الحاجة دون اللجوء الى اي تشريع اخر؟

٤ ـ الرد على الطعن بحجاب المسلمة

اما ما يقوله الذين في قلوبهم مرض من ان الاسلام ظلم المرأة بالحجاب الذي يستر رأسها واطرافها ما عدا وجهها وكفيها فانهم ما كانوا ليقولوا ذلك لو فهموا الحكمة من هذا التشريع الالهي.

ان كشف الشعر وتعرية الصدر والظهر والساقين عوامل اغراء وفتنة اوصلتهم واوصلت بلادهم الى حافة الانهيار الخلقي والتفكك الاسري وضربتهم بالامراض والاوبئة لان مسلكهم يعتبر تشجيعاً للغرائز الجنسية وبالتالي الى الاباحة الجنسية وطغيانها كما هو واقع بلادهم اليوم، لذلك منع الاسلام الفتنة والاغراء باللباس المحتشم الذي لا يثير الجنس صوناً للاخلاق وحفاظاً على السلوك.

انهم اقاموا الدنيا ولم يقعدوها، واتهموا الاسلام واهله بالتأخر وارتفعت عقيرتهم مؤخراً ضد «الشادور» كما يطلق عليه بالفارسية ولكننا نسألهم: لماذا لم يقيموا الدنيا على الراهبات اللواتي يلبسن حجابا يستر رؤوسهن واطرافهن باكثر من حجاب المسلمة؟

لماذا لم نسمع انتقادا واحدا من هؤلاء وحجاب الراهبات اقدم من حجاب المسلمات؟

بل لماذا تستر المرأة المسيحية رأسها عندما تدخل الكنيسة للصلاة؟ الا ترى معي ايها القارئ الكريم ان هذا الانتقاد انما ينم عن كراهية للاسلام والمسلمين وانه ناتج عن ضيق وتبرم بهذا الدين القويم؟

٥ ـ الرد على منتقدي ميراث المرأة

زعم المرجفون اعداء الاسلام بان الاسلام انتقص حق المرأة في الميراث حين جعل حصتها نصف حصة الرجل وفقا لقوله تعالى: «للذكر مثل حظ الانثيين» متجاهلين الحكمة من ذلك.

ان الرجل يتحمل مسؤولية البيت والاسرة، والعمل والانفاق، والدفاع وبذل الدم عن وطنه واسرته.

كما انه يدفع المهر عندما يتزوج في حين تأخذ المرأة مهراً من الرجل مع ميراثها منه، وليس في كل الحالات تزيد حصة الرجل في الميراث عن المرأة فهي تتساوى معه في كثير من الحالات الارثية التي لا مجال لذكرها الآن ويمكن العودة الى كتب الميراث للاطلاع عليها.

قد يرد هؤلاء المنتقدون فيقولون بان المرأة تعمل الآن وهي تستطيع الانفاق على نفسها واسرتها والجواب على ذلك بان هذا وان كان صحيحا الا انه ينبغي النظر الى الغالبية العظمى من النساء اللواتي لا يعملن، لان الشاذ لا يقاس عليه. حتى ولو عملت المرأة والاسلام لا يمنع ذلك ـ فأن الشريعة اعطت المرأة حقها كما اعطت الرجل حقه، وسيعود المنتقدون الى صوابهم بعد تجربتهم ان عاجلا او آجلا فيذعنون للحق والعدل الذي جاء به الاسلام.

٦ ـ الرد على منتقدي شهادة المرأة

«نصاب الشهادة رجلان او رجل وامرأتان» كما نصت عليه الآية الكريمة: «يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه

ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى[١٤]»

ان هذا الامر لا يتعلق بالمساواة بين المرأة والرجل ولا بحقوقها ايضاً فقد فسر بعض العلماء ان شهادة المرأتين مع وجود الرجل جائزة في هذه الآية ولم يذكرها الله في غيرها فاجيزت في الاموال خاصة (واذا تداينتم بدين) ذلك لان الاموال حدد الله سبحانه اسباب توثيقها لكثرة جهات تحصيلها وعموم البلوى بها فجعل التوثيق تارة بالكتابة وتارة بالاشهاد وتارة بالرهن، وتارة بالضمان.

واجاز العلماء شهادة النساء منفردات فيما لا يطلع عليه غيرهن بالضرورة، كالولادة والاستهلال ولم يجيزوها في الحدود تكريماً للمرأة، وفي قول اكثر العلماء في النكاح والطلاق ايضا، وقد بين الله سبحانه المقصود من جعل شهادة المرأتين تكملة لنصاب الشهاده بقوله:

«ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى» والمقصود بالضلال هنا النسيان كما فسره العلماء.

وفي رأيي ان الله الذي يعلم طبيعة المرأة يشير في هذا الاجراء الى ثلاثة اشياء هامة اولا: كون المرأة عاطفية هكذا خلقها الله واعداها للامومة فلا بد من ان تؤثر هذه العاطفة في الشهادة التي تؤديها.

ثانيا: كون الاستقرار في البيت الزوجي من حق الزوج فهي راعية بيته ومسؤولة عن رعيتها فيه فاداء الشهادة سبب لخروجها من البيت وهو يشغلها عن مسؤوليتها تجاه بيتها.

ثالثا: التقليل من اختلاط المرأة بالرجال وابعادها عن تأدية الشهادة في امور شخصية اخلاقية تتصل بالحدود والعقوبات كالسرقة والزنا والقتل والخمر وسوى ذلك مما يخدش كرامة المرأة ويخالف طبيعتها الانثويه الامر الذي يؤدي الى الخجل والخجل يؤدي الى النسيان، لذلك وابعادا لها عن مواضع التهم والشبهات

وكل ما لا يليق بانوثتها ورقتها وعما قد يسبب لها من خصومات هي في غنى عنها جعل شهادة الرجل في كل القضايا وشهادة المرأة في بعضها.

٧ ـ الرد على الطعن بالطلاق

الطلاق عند المسلمين رخصة اجازها الله لهم في حالات الاضطرار والحاجة عندما تشق الزوجة او الزوج عصا الطاعة ويستحيل التفاهم، او عندما تشذ الزوجة في سلوكها الخلقي، او لأي سبب اخر يصدع الحياة الزوجية ويضربها بالخلاف المستحكم كما ان الشريعة اباحت للزوجة طلب التفريق عندما يشذ الرجل ويتعاطى المحرمات او يخل بالواجبات الزوجية خللا معيبا وكانت الشريعة ارحم بالمرأة اذ اباحت لها ان تطلق نفسها اذا فوضها الزوج بذلك في صلب عقد الزواج.

هذه الرخصة التي اساء الكثيرون من المسلمين استعمالها بسبب او بدون سبب بالرغم من ان الاسلام امر اتباعه ان يعاملوا زوجاتهم بالمعروف لانها مخلوقة من انفسهم قال تعالى: «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وقال: يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء[١٥]»

لقد امرت الشريعة المسلمين بالأناة في ايقاع الطلاق والتريث فاذا ما رأى احدهم خللا آتيا من الزوجة نبه زوجته الى ذلك، فاذا عادت هجرها في المضجع الى اخر الاجراءات ومنها ان لا يوقع طلاقها الا في طهر لم يقاربها فيه، هذه الاجراءات التي يمكن ان تعيد الامور الى نصابها فاذا لم يكن ذلك اوقع عليها الطلاق.

وجعلت الشريعة الطلاق مرتين قال تعالى: الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان[١٦]».

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: الطلاق مرتان... فأين الثالثة؟ فقال: فإمساك بمعروف او تسريح باحسان[١٧]».

هذا بالاضافة الى ما يترتب على الطلاق من اعباء مالية ونفقات تحد من ايقاعه.

لقد كان الطلاق عند المسلمين عرضة للانتقاد المرير من قبل الغربيين والشرقيين على السواء وكانوا يتهكمون بقولهم: ان المرأة المسلمة تتناول عند زوجها افطار الصباح ولا تتناول عنده طعام العشاء، فاذا كانت هذه نظرتهم الى الطلاق، وكان الطلاق محرما في شرائعهم، فلماذا حلّلوه وتجاوزوا اوامر تلك الشرائع؟ لماذا اصبح عدد المطلقين والمطلقات عندهم اكثر مما عند المسلمين؟ اليس في ذلك برهان ساطع على ان شرائعهم التي تقول: (من طلق امرأة الا لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني؟[١٨]، هي المقصرة عن مواكبة الزمن؟ اليس في ذلك دليل على ان انتقادهم لم يكن صادرا عن رأفة وتقدير للمرأة كما يزعمون بل هو صادر عن حقد وتعصب اعميين؟

ان الجواب على انتقادهم طبيعي وسهل فتحريم الطلاق في شرائعهم لا يتناسب مع الفطرة والواقع والمعقول لذلك اضطروا الى تحليله.

اما نحن فقد بقينا ولا نزال على حكم الله الذي لا يتبدل ولا يتغير (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا[١٩]».

٨ ـ الرد على الطعن بقطع يد السارق

بحثنا في هذا الكتاب كيف ومتى تقطع يد السارق واشرنا الى بعض ما تقطع يد السارق فيه وما لاتقطع واوضحنا موقف الخلفاء الراشدين من ذلك واتفاقهم على ان لا تقطع يد السارق زمن القحط والمجاعة للحاجة.

وقد غلظ الاسلام هذا الحد، بعد ان كفل للمسلم حقوقه في فقرة وعجزه وبطالته وشيخوخته هادفا بذلك الى وضع حد نهائي للاعتداء على حرمة الملكية الخاصة فقد قال تعالى: ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون[٢٠].

ان القصاص المغلظ الذي اوجبه الاسلام بحق كل معتد على حقوق الناس واموالهم واعراضهم وحرياتهم لا ينظر المنتقدون الى نتائجه بل ينظرون بعين واحدة الى مظاهره وهذا ما جعلهم يخطئون في احكامهم.

إن العقوبات المشددة في رأيي كقتل القاتل، ورجم الزاني، وقطع يد السارق وجلد شارب الخمرة وسائر الحدود هي ضمان لحياة الأمة واعراضها واموالها وحرياتها اذ انه بتطبيقها تحيا آلاف الأنفس، وتسلم آلاف الاعراض فلا تدنس والكرامات فلا تداس، إذ إنه بتطبيقها يحسب من تراوده نفسه على اقترافها ألف حساب للنتائج، ولا يتصور عاقل أن يقوم فرد في الامة بارتكابها وقد رأى بعينه ما حل بمرتكب احداها. وهذا معنى قوله تعالى «ولكم في القصاص حياة».

اما العقوبات المخففة التي تستند اليها القوانين الوضعية فانها غير كافية للردع والزجر ولذلك تسرح الجريمة وتمرح في بلادهم فالجرائم المختلفة من سرقات وانتهاك حرمات وجرائم قتل تقوم في الشوارع والبيوت والمخازن ليلا ونهاراً وفي كل يوم تسجل آلاف الحوادث من هذا القبيل، وهذا دليل على ان مرتكبيها لا يخشون العقوبات التي وضعتها قوانين تلك الدول.

إن الله سبحانه احكم الحاكمين حينما قرر ان في العقوبة حياة للناس وختمها بقوله لعلكم تتقون، اراد بذلك انهاء الجريمة وقطع دابر المجرمين وخاطب أولي الالباب من الحكام والناس: انكم تتقون بالعقوبة المشددة هذه الجرائم وتضمنو عدم تكرارها، وسلامة الأنفس والأموال والاعراض هي إرادة الله التي يتجرأ على مخالفتها اولئك المعاقبون.

- ويكفي للدلالة على نجاح تطبيق هذه العقوبات ما نراه في بعض الدول الاسلامية من امان واستقرار وحياة للأنفس والأموال والأعراض والكرامات.

٩ ـ الرد على منتقدي الاسلام كدين ودولة

منذ أن خلق الله الانسان ووهبه العقل الذي ميزه عن سائر الحيوانات لم يتركه ولم يشأ له ان يتخبط في امور حياته الدنيوية لعلمه سبحانه ان الانسان سيفسد في الأرض ويسفك فيها الدماء بفعل مطامعه واحلامه التوسعية في الملك والسيطرة بعد ان سخر له قوى الطبيعة وجعلها في خدمته فأرسل اليه الانبياء والرسل مبشرين ومنذرين يحملون اليه الخير والمحبة والهداية منذ ان علم آدم الاسماء كلها الى بعثة

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين، قال تعالى: «وان من أمة إلا خلا فيها نذير[٢١]».

وقد نص الله سبحانه على نبيه الكريم أمر هؤلاء الانبياء والرسل فقال سبحانه: «إناّ اوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا الى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والإسباط، وعيسى وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وآتينا داوود زبورا، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلا لم نقصصهم عليك، وكلّم الله موسى تكليما[٢٢]».

هؤلاء الانبياء والرسل منهم من اقتصرت نبوته على الهداية وبيان الحلال من الحرام وما يجب فعله وما لا يجوز فعله، فتكلموا بلسان الله ولم يؤمروا بالتبليغ، ومنهم من أمروا بالتبليغ فكانوا رسل الله، وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

ولا شك بأن ما أُنزل على الانبياء من وحي الله كان تعبديا في المراحل الإنسانية الأولى يشتمل على الايمان بوحدانية الله، ووجوب الاعتقاد بالبعث والنشور والثواب والعقاب، ووجوب الإلتزام بالعمل الصالح.

على إنه لا تخلو تلك الرسالات القديمة من بعض التعاليم التي ترشد الإنسان إلى كيفية التعامل مع أخيه الإنسان بقدر حاجة الإنسان وتطوره الزمني من جيل الى جيل فكان أنبياء الله يحملون اليه عبادة وتشريعاً كصحف إبراهيم وزبور داوود إلى أن جاء موسى عليه السلام فحملت التوراة العبادات وطقوسها الكثيفة الصارمة، وبعض التشريعات التي تتلاءم مع زمن موسى عليه السلام نشير الى بعضها بايجاز:

«من مس ميتا ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام»

«إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة ايام» عدد: ١٦ـ١٨.

وكلّم الرب موسى قائلا: «إذا أخذت كمية بني إسرائيل بحسب المعدودين منهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تعدهم، لئلا يصير فيهم وباء عندما تعدهم». إذا نطح ثور رجلا أو إمرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، ولكن إذا كان الثور نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو إمرأة فالثور يرجم وصاحبه يقتل (خروج: ٢١/٢٨).

سبعة أيام تأكلون فطيرا، اليوم الاول تعزلون الخمير من بيوتكم فإن من أكل خميراً من اليوم الاول الى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ويكون لكم في اليوم الاول محفل مقدس وفي اليوم السابع محفل مقدس لا يعمل فيهما عمل ما الا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم (خروج: ١٢).

ثم جاء عيسى عليه السلام بالإنجيل فكانت رسالته روحية صرفة ما عدا بعض التعاليم المتعلقة بالمعاملة والتعامل نورد هنا بعضا منها:

(سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر) من لطمك على خدك الإيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً، ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده «انجيل متى: ٥».

وقال المسيح لأحد اتباعه: ان اردت ان تدخل الحياة فاحفظ هذه الوصايا: لا تقتل: لا تسرق، لاتزن، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، واحب قريبك كنفسك، فقال له الشاب: كل هذه حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد؟ قال يسوع: ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا لأنه كان ذا اموال كثيرة «متى: ١٩».

ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب الله القرآن الكريم الذي يشتمل على العبادات والمعاملات لجميع الناس أبيضهم وأسودهم وأصفرهم رابطاً المعاملات الحياتية بوحي الله وبكفالة الله لعدم تغييرها وتبديلها ولتكون شريعة ابدية

للمجتمع البشري، وعلى هذا الاساس قامت الدولة الاسلامية العادلة التي اكملت انتشارها في جميع انحاء المعمورة في مدة لا تزيد عن عشر سنوات. ومن الطبيعي ان يغضب هذا اعداء الإسلام فعملوا على وقف الزَّحف الإسلامي وأنفقوا الاموال الضخمة من أجل تعطيل المسيرة الإسلامية الظافرة، ولجأوا الى محاربة المسلمين بالسلاح، ومن اشهر تلك الحروب: الحروب الصليبية، التي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا بمختلف الاساليب، وبتحالف وثيق مع الصهاينة الذين كانوا منذ قيام الإسلام اعداءه الاول ولا يزالون. وانطلقت في الغرب أصوات، وقامت الثورة على الكنيسة تدعو الى فصل الدين عن الدولة مطلقة على دعوتها هذه إسم العلمانية وكان انطلاق هذه الدعوة من فرنسا يوم أن حكمها الرهبان والكهنة بالحديد والنار زاعمين انهم يستمدون سلطتهم على الشعب من الله. ثم استغل الحاقدون هذه الدعوة فجيروها ضد المسلمين وبذلوا وما زالوا يبذلون قصارى جهدهم لإلباس المسلمين ثوباً غير مفصل على قياسهم بحجة ان دينهم يشكل عقبة في طريق تقدمهم مع انهم لا يريدون للمسلمين ان يتقدموا، وتجاوب ويا للأسف بعض المسلمين مع الدعوة وبخاصة أولئك الذين غسلت الثقافة الغربية ادمغتهم فضموا أصواتهم الى تلك الأصوات الناشزة التي تطالب بفصل الدين عن الدولة، وسلخ المسلمين عن دينهم ونصوصه المقدسة التي اصبحت جزءا من كيانهم إذا تركوها فقدوا كل مقومات وجودهم بل خرجوا عن إسلامهم وهذا هو الإرتداد والكفر الذي لا يرضاه لنفسه أي مسلم.

اننا نتسائل بألم ومراره: لماذا يقيم الناقدون الدنيا على الاسلام كدين ودولة ولا يوجهون كلمة نقد واحدة الى دولة الفاتيكان؟ تلك التي تشكل دينا ودولة، لها وزراؤها وسفراؤها وأجهزتها الحكومية؟ وهي تمارس الحياة السياسية بكل أبعادها، أم إنه يجوز لغير المسلمين ما لا يجوز لهم؟

لقد عمل أعداء الإسلام بأسلحتهم وأموالهم ودعاياتهم المضللة أحقابا طويلة في محاربة الإسلام وأهله، لإطفاء نور الله ولكن نور الله إزداد إشعاعا وتألقاً، وها هي أفواج الناس في جميع أقطار الدنيا تعتنق الإسلام مؤمنة بإنه الملاذ الأخير الذي

يخلص البشرية من همومها وعثراتها وإنه وحده الكفيل بحل قضايا العالم ومشاكله. فالمسلمون الذين فتحوا ثلاثة أرباع الدنيا وكان دينهم سبب تقدمهم لا يمكن لأحد أن يقنعهم بإنه سبب تأخرهم وهم يعرفون من يعرقل مسيرتهم ويدركون بإنه لا سبيل لإستعادة ما فقدوه الا بالعودة الا الإسلام، الى كتاب الله وسنّة رسول الله.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله[٢٣].

وما ذلك علىَ الله بعزيز[٢٤] والحمد لله رب العالمين.

انابيب الاطفال

لقد اباح الله النكاح وحرم السفاح منعاً لإختلاط الأنساب وصوناً للروابط العائلية ان يدخلها الغش والضعف، هذه سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، فإذا قام زواج بين رجل وامرأة بعقد شرعي صحيح كما أراد الله فان غايتهما الاولى المستهدفة هي الإنجاب لتستمر البشرية في مسيرتها إلى حيث يريد الله، فتمضي هذه الامور في قنواتها الصحيحة دون عوائق تقف في طريقها لبلوغ الغاية المنشودة، وقد تقف في طريقها عوائق جسدية أو نفسية يضطر معها الإنسان بما فطره الله عليه من حب للانجاب والتناسل أن يبذل طاقته وجهده لإزالة هذه العوائق ليستمر العطاء واعمار الارض، فاذا لم تزل فكَّر في اجتياز هذه العوائق بأية وسيلة الى الحقن التي تحمل ماءه الى الرحم فيخصب، أو إلى أرحام مصنوعة مكيفة على وفق الأرحام الطبيعية محتوية المواد الضرورية لنمو البذرة وتكاملها.

هنا نعود الى القاعدة الاساسية التي انطلقنا منها وهي وجوب قيام الزوجية الشرعية الصحيحة بين الرجل والمرأة الذي يعتبر كل اتصال بين المرأة والرجل بدونه زنا فإذا كان هذا الماء هو ماء الرجل المعقود له شرعاً على المرأة التي حقنت بمائه وكان الزواج قائماً فليس ثمة مانع يحول دون ذلك، أما إذا كان الماء من رجل أخر ليس بينه وبين المرأة المحقونة به عقد زواج أو كانت مطلقته وقد انقضت عدتها، أو كانت محرماً عليه، فإن هذا هو الزنا بعينه.

لقد قال فقهاؤنا بأن المجبوب الذي استؤصلت مذاكره يثبت نسب الولد منه بالسحق وإدخال الماء كما قالوا بإن العنين الذي لا يقدر على الجماع اذا ساحق المرأة وحملت يثبت نسب الولد منه ايضا[٢٥].

وتخيل فقهاؤنا منذ آلاف السنين فافترضوا علوق ماء الرجل بزوجته في

الحمام او من ثيابه وحملها من ذلك الماء فقالوا بان الحمل صحيح ونسب الولد يثبت من المرأة ورجلها.

ان المدار في هذا الموضوع هو وجود عقد الزوجية بين المعطي والآخذ سواء اكان ذلك بطريق الأنبوب أم بغيره.

زراعة الاعضاء

قلنا آنفا ان الإسلام كرم الإنسان حياً وميتاً، أما تكريمه ميتا فقد جعل حرمة لقبره كما جعل حرمة لوفاته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كسر عظم الإنسان ميتا ككسر عظمة حيا «رواه احمد وابو داوود وابن ماجه انظر (الجامع الصغير حـ ٢ ٦٢٣١)

غير ان الاسلام وضع لكل شيء حلولا كما جعل القياس احد مصادر التشريع ومعنى القياس: عرض قضية حادثة ليس فيها نص في كتاب او سنة على قضية سابقة مماثلة فعلها النبي صلى الله عليه وسلم او صحابته رضوان الله عليهم وهذا يعني ان الشريعة لم تعطل العقل بإحالته الى النقل بل تركت له حرية القياس بالنظائر والإشباه، ففي المحرمات التي عددها الله سبحانه بقوله، «انما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله».

نرى إن الله أباحها في حال الإضطرار فقال تتمة للآية فمن إضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه» سورة البقره ١٧٣.

وقياساً على ما تقدم نستنتج ما يلي.

اولا: إن الإباحة بشرط الإضطرار هي لمصلحة الانسان الحي.

ثانيا: ان الانسان الحي الذي فقد عضوا من اعضائه كعينيه او كليتيه او أي عضو اخر هو في حكم المضطر ويلزمه تعويض جزئه المفقود لأن في ذلك مصلحة له ولمن يعول.

ثالثا: إن زرع عضو الميت مكان عضو الإنسان الحي يشترط فيه:

١ ـ ان يكون العضو موصى به من قبل الميت قبل وفاته فإن لم يوص به لا يؤخذ هذا العضو الا بموافقة أهل الميت وإذنهم.

٢ ـ أن لايكون ذلك مطلقاً بطريق الإعتداء كخطف إنسان وقتله وإقتلاع العضو المطلوب من جسده.

٣ ـ أن يكون العضو البديل صالحاً للإستعمال بمعرفة الطبيب.

والسوآل الآن كيف لا يبيح الاسلام في حالة الإضطرار ما حرمه لمصلحة الانسان الذي سخر له كل شيء؟ وكيف لا نفعل ذلك وقد أرشدنا الله الى طريقة الإستبدال بخلقه شرايين احتياطية لا عمل لها في ساق كل مخلوق من البشر يلجأ اليها الاطباء الآن لإستبدال شرايين القلوب المسدودة؟

«ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون».

كلمة الختام

وبعد، فهذا هو دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي اسهم في كل علم وخاض في كل فن، ووضع الحلول لما كان ولما هو كائن ولما سيكون.

لقد بدأ العالم يتطلع إلى تعاليم الإسلام ومفاهيمه بنهم وشوق بعد أن انشئت المراكز الاسلامية في كل أنحاء الدنيا وترجم القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، وبدأ الناس في الغرب والشرق يدخلون في دين الله أفواجاً.

لقد جرب العالم جميع النظم، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فأنشأ الاحزاب واعتنق الشعارات، ولكنه مني بالفشل والإحباط من نتائج تطبيقها، وسيجد حتماً في دين الله ما يجنبه الإنقسامات والحروب الناتجة عن ممارسات تلك الأنظمة التي وضعها لمجتمعاته من فرديةٍ ورأسماليةٍ وشيوعية وإشتراكية وحزبية لاتعد ولا تحصى.

اجل هذا هو دين الله الذي يقضي على الطبقيات والعصبيات والانحرافات بدعوته الى المحبة والتعارف وجعل ميزان ذلك كله التقوى، أي مخافة الله ومراقبته في معاملة الإنسان للأنسان.

هذا هو الدين القويم الذي يعنى بتربية ضمير الانسان من المهد الى اللحد، هذا هو دين الله، دين ابراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبلهم. قال تعالى: «وقالوا كونوا يهوداً أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين، قولوا آمنا بالله، وما أنزل الينا، وما انزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

والإسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم، ونحن له مسلمون[٢٦]».

لسنا والله متعصبين ولا مزايدين ولا مغالين ولا مفترين على احد، إن دعوتنا الى دين الله دين الوحدة البشرية، وهل يكون متعصباً او مفترياً من يدعو الى الاسلام الذي هو انقياد لله واستجابة لاوامره وتجنب لنواهيه؟

اننا ننطلق في دعوتنا من محبة الانسان التي اودعتها فينا تعاليم الله، رب الدين الواحد والتعاليم الواحدة والشريعة الواحدة التي افسد بعضها وحرفها أهل الأرض وفصّلوا المحرّف منها على قياسات اهوائهم ومطامعهم الأرضية، ولوكانت هناك تعاليم مختلفة متناقضة لكانت هناك آلهة مختلفة. وصدق الله العظيم اذ يقول: لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[٢٧]» ويقول أيضا: أم إتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون[٢٨]».

ونختم رسالتنا هذه التي بدأناها بإسم الله الرحمن الرحيم الموجهة الى ذوي الالباب بقول الله سبحانه في فاتحة الكتاب، الحمد لله رب العالمين.

هوامش

١ ـ الاسراء ٨٨ ـ ٨٩

٢ ـ الروم ٣٠.

٣ ـ البقره: ١٧٠.

٤ ـ الواقعة ٧٥

٥ ـ الذريات ٤٧

٦ ـ الرعد ٤١

٧ ـ الحجرات ١٣

٨ ـ البقره ٣٠

٩ ـ التوبه ١٠٥

١٠ ـ القصص ٧٧

١١ ـ آل عمران ٧١

١٢ ـ يونس ٦٦

١٣ ـ للطبراني في الكبير وللحاكم في مستدركه عن ابن عباس حديث صحيح.

١٤ ـ البقره ٢٨٢.

١٥ ـ النساء: ١

١٦ ـ البقره: ٢٢٧

١٧ ـ رواه الثوري عن غيره وقيل رواه الترمذي

١٨ ـ انجيل متى: ٥ / ٣١

١٩ ـ فاطر: ٤٣.

٢٠ ـ البقره/ ١٧٩

٢١ ـ فاطر: ٢٤

٢٢ ـ النساء: ١٦٤

٢٣ ـ الروم: ٤

٢٤ ـ ابراهيم: ٢٠

٢٥ ـ ابن عابدين جزء ٢ ص ٦٤٤.

٢٦ ـ البقره: ١٣٥ ـ ١٣٦.

٢٧ ـ الانبياء: ٢٢

٢٨ ـ الانبياء: ٢٤.

المراجع

- القرآن الكريم

- صحيح البخاري بحاشية السندي: دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه

- صحيح مسلم بشرح النووى: دار الفكر - بيروت ١٩٨١م

- الجامع لإحكام القرآن للقرطبي: دار الكاتب العربي - مصر - طبعه ٣ - ١٩٦٧م

- المذاهب الاقتصادية: ترجمة راشد البرادي - مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م

- الخطر اليهودي: لمحمد خليفة التونسي - دار الكتاب العربي - بيروت

- الحرب بين الكنائس العربية والاميركية: دار الوحدة ١٩٨٨م

- الفتوحات الربانية لمحمد الحكيم: المطبعة التجارية الكبرى - شارع عابدين

- الجامع الصغير للسيوطي: دار الفكر - بيروت ١٩٨١م

- ابن عابدين: دار احياء التراث العربي - بيروت - طبعه ٢ - ١٩٨٧

- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي: المطبعه الازهريه بمصر ١٩٢٨م

- فتح القدير للامام كمال الدين محمد عبد الواحد المعروف بابن الهمام - دار صادر - بيروت

- مقدمة ابن خلدون: دار الفكر - بيروت.

- تاريخ الاسلام السياسي: للدكتور حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، طبعه ٧، ١٩٦٤م

- الإحكام السلطانية للماوردي: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥م

- الفن العسكري الاسلامي: للعميد الركن الدكتور ياسين سويد

- معارك خالد بن الوليد: للعميد الركن الدكتور ياسين سويد

- الروض الانف لابن هشام: دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨م

- معين الحكام لابن خليل الطرابلسي - المطبعة الميرية ببولاق مصر ١٣٠٠هـ.

التوراة والانجيل مترجم من اللغة اليونانية طبع في كمبردج ١٩١٧
بروتوكولات حكماء صهيون: شوقي عبد الناصر.

الفهرس

ص

المقدمة ٥

الفصل الاول ١١

- نظام الفردية او الديكتاتورية ١١

- نظام الشورى ١٤

- الرأسمالية ١٧

- النظام الشيوعي ٢٠

- الشيوعية والماسونية ٢٣

- النظام الوسطي الاسلامي ٢٩

الفصل الثاني ٣٥

موقف الاسلام من الفرد ٣٥

الحرية الشخصية ٣٨

حرية الرأي ٣٩

حرية العقيدة ٤٠

حرية العمل ٤١

حرية المسكن ٤٢

الضمان الاجتماعي ٤٣
حرية التربية والتعليم ٤٤
حرية الملكية الخاصة ٤٤
الحجر الصحي والوقاية ٤٦
الزواج ٥٠
تعدد الزوجات ٥٢
شبكة القربى المحكمة ٥٥
الطلاق ٥٧
التركة والميراث ٦٠
موقف الاسلام من الجماعة ٦٢
الفصل الثالث ٧١
نظام الحكم في الاسلام ٧١
النظام العقائدي ٧٣
النظام السياسي ٧٣
النظام الاداري ٧٤
النظام المالي ٧٤
النظام الحربي ٨٣
السلم والصلح ٩٣
النظام القضائي ٩٧

الحدود والعقوبات ١٠٤
المعاهدات والعلاقات الداخلية والخارجية ١١٠
النظام البحري ١١٦
الفصل الرابع ـ العرب والعلوم ١٢٥
الفيزياء ١٢٨
الموسيقى ١٣٠
الرياضيات ١٣٠
علم الجبر ١٣١
علم الهندسة ١٣١
علم النجوم ١٣٢
الزراعة ١٣٤
الصناعة ١٣٥
الفصل الخامس ١٣٧
طعون وردود ١٣٧
١ ـ الرد على منتقدي تسمية اهل الكتاب بالذميين ١٣٧
٢ ـ الرد على مقولة تقصير الاسلام عن مواكبة العصر ١٣٨
٣ ـ الرد على منتقدي تعدد الزوجات ١٤١
٤ ـ الرد على الطعن في حجاب المسلمة ١٤٢
٥ ـ الرد على منتقدي ميراث المرأة ١٤٣

٦ ـ الرد على منتقدي شهادة المرأة ١٤٣
٧ ـ الرد على الطعن بالطلاق ١٤٥
٨ ـ الرد على الطعن بقطع يد السارق ١٤٦
٩ ـ الرد على الطعن بالإسلام كدين ودولة ١٤٧
ـ انابيب الاطفال ١٥٢
ـ زراعة الاعضاء ١٥٣
ـ كلمة الختام ١٥٥
ـ المراجع ١٥٩



مجموعات

مجموعة د. زاهية الدجاني

- المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (ع) وفرعون
- سورة الأنبياء
- يوسف في القرآن والتوراة
- أحسن القصص

مجموعة القاضي محمد سويد

- الإسلام هو الحل لقضايا الإنسان
- المذاهب الإسلامية الخمسة والمذهب الموحد

سلسلة الدراسات الإسلامية

- **الأحكام الصغرى (جزءان)** - أبي بكر محمد بن معافري الإشبيلي
- **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب** - د. محمد مختار ولد أباه
- **الإمام مسلم**
- **سلسلة أعلام المسلمين**
  - **الإمام أبو حامد الغزالي**
  - **الإمام الشافعي**
  - **الإمام جلال الدين السيوطي**
  - **الإمام الطبري (جزءان)** - مجموعة من العلماء
- **التقريب بين المذاهب الإسلامية (جزءان)**
- **معجم تفاسير القرآن الكريم (جزءان)**
- **وضع المرأة في العالم الإسلامي مجموعة من العلماء**
- **القرآن الكريم**
- **العقيدة الإسلامية**- د. علي محيي الدين القره داغي
- **السيرة النبوية** - د. أحمد أبو زيد
- **القرآن الكريم والأصول في تدبره** - د. محمد حسين صفوري
- **قضاء الخليفتين** - وهاب رزاق شريف
- **المعجم الطبيعي للقرآن الكريم** - عزيز العلي العزي
- **الشخصية الكافرة** - حسن محمد علي عبّارة
- **رسالة القرآن رؤية حديثة** - إدمون فيل
- **مفاهيم رمضانية** - الشيخ محمد علي الحاج العامليّ
- **الحوار المسيحي الإسلامي (واقعه وخطوات تفعيله)** - مجموعة من العلماء
- **السفور والحجاب** - نظيرة زين الدين



- **الوحدة الإسلامية ما لها وما عليها** - تقديم د. محمود حمدي زقزوق
- **على دروب التقريب بين المذاهب الإسلامية** - مجموعة من العلماء
- **مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية** - تصدير الشيخ عبدالله العلايلي
- **الكتاب والقرآن** - د. محمد شحرور
- **المعجم المفهرس للمخطوطات العربية والإسلامية في طشقند**
- **الموسوعة القرآنية** - جعفر شرف الدين

